النيل عبد القادر أبو قرون

شفاء الذمم

من اتهامات المسلمين للنبي الأعظم

THE ACCUSATIONS OF MUSLIMS AGAINST THEIR PROPHET



شفاء الذمم من اتهامات المسلمين للنبي الأعظم

قامت الدنيا ولم تقعد في الدول العربية والإسلامية، خلال السنوات الماضية، احتجاجاً على الرسوم الهزلية في الدنمارك، والفيلم المسيء للنبي الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله، واقتصرت ردود فعل ما يسمّى «علماء المسلمين» على التنديد والشجب والتهديد بالقوّة أسوة بالهبّات الشعبية العفوية، والدفاع بشكل عام عن الإسلام والمسلمين لا عن ذات النبيّ الشريفة، ولم ينتبه الكثيرون إلى أنّ معظم موضوعات تلك الإساءات يستند إلى مرجعيات واضحة في الكتب التي وصلت إلينا من السلف، وكان الأولى أن تتمّ مراجعتها وتفنيد الإساءات التي ألحقتها بالنبيّ الكريم صاحب الخلق العظيم. لكن الجميع سكت عمّا حفل به الكثير من كتب الحديث والتفاسير مما نسب إلى النبيّ زوراً وبهتاناً، أو جهلاً وسوء تقدير.

والكتاب، الذي بين يدينا للمفكر السوداني والمجدد الشيخ النيل عبد القادر أبو قرون، يتصدّى لنماذج من هذه الاتهامات أو الإساءات علّه يكون مقدّمة جريئة لمراجعة شاملة لما وصلنا فيما يخصّ سيّد الخلق وإمام الأنبياء، فلا مجاملة أو مهادنة مع مثل هذه الاتهامات أو سوء التفسير وركاكة التأويل حتى لو وردت في الصحاح أو نسبت إلى كبار الصحابة.

أمّا صاحب هذا الكتاب، فقد سبق له أن أصدر العديد من المؤلفات الفكرية والمراجعات الجريئة التي شهدت الكثير من النقاش حولها، ومنها: كلمة الإنسان؛ الإيمان بمحمد؛ الإسلام والدولة؛ نبيّ من بلاد السودان؛ مراجعات في الفكر الإسلامي، وغيرها.

وقد تربّى النيل أبو قرون في بيت علم وتصوّف في السودان، ودرس القانون في جامعة الخرطوم، وتولّى وزارة الشؤون القانونية في زمن النميري، وساهم في صياغة القوانين الإسلامية. ولأجل أفكاره الجريئة وطروحاته المغايرة للسائد، فقد تعرّض وما زال يتعرّض إلى الكثير من المحن والمضايقات، ومنعت كتبه في بلاد عديدة.

•

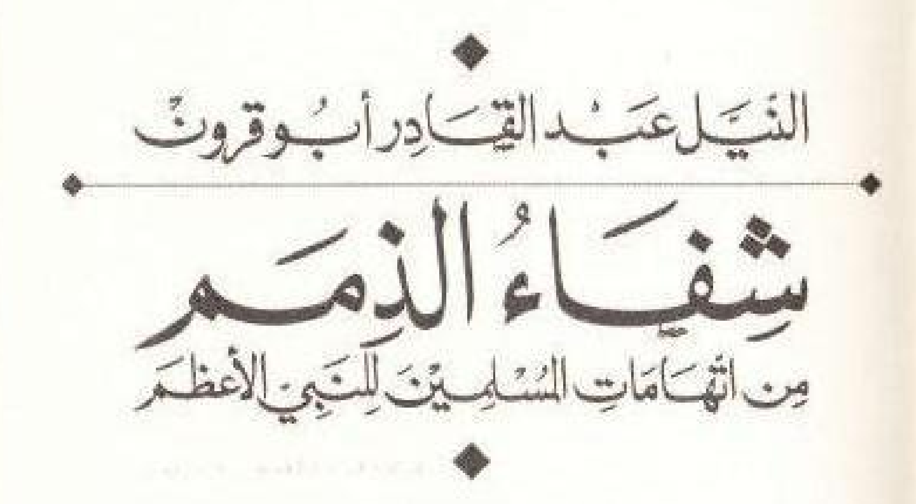




9 786144 191651


المرتضى
مكتبة السودانية
www.facebook.com/sh143a
https://t.me/sh143a تليجرام







شفاء الذمم من اتهامات المسلمين للنبيّ الأعظم / فكر
النيل عبد القادر أبو قرون / مؤلف من السودان
الطبعة الأولى، 2013



المؤسسة العربية للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم،
ص. ب: 11-5460، هاتفاكس 00961 1 752308 / 751438
التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع
ص. ب: 9157، عمّان 11191، الأردن
هاتف 00962 6 5605431 / 00962 6 5605432، هاتفاكس 00962 6 5685501
E-mail: info@airpbooks.com
موقع الدار الإلكتروني: www.airpbooks.com
تصميم الغلاف والإخراج الفني:
[illegible] عمّان ■ 00962 7 95297109
لوحة الغلاف: زخرفات عربية إسلامية
التنفيذ: المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت، لبنان
التنفيذ الطباعي: [illegible] / بيروت، لبنان

ISBN 978-614-419-165-1

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ...﴾(1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ...﴾(2)

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ...﴾(3)

---

(1) سورة الحديد، الآية : ٢٨ .

(2) سورة المجادلة، الآية : ٩ .

(3) سورة آل عمران، الآية : ٨٦ .



مفتتح

الحمد لله الذي بنور تجلياته أظهر الأكوان ، وأبدع نسقها في أكمل صورة بحسن وإتقان ، رفع السماوات بغير عمد وعمرها بالنجوم وزينها بالكواكب ووضع الميزان ، وبارك في الأرض وقدّر فيها أقواتها وجعل خلافته فيها للإنسان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحنّان المنّان ، الذي جعل الظلمات والنور للتبيان ، ولم يترك الإنسان سدىً دون توضيح طريق الحق وطريق الخذلان ، فأرسل رسله مبشرين ومنذرين في كل الأزمان ، وختمهم بأفضل رسله محمد بن عدنان . فعظّمه وأكرمه وأحبّه وشفّعه في الدار الحيوان ، وصلى عليه هو وملائكته وأمر بالصلاة عليه أهل الإيمان .

اللهم صل وبارك عليه وآله صلاة تدخلنا بها في زمرة أحبابه ، وتؤهلنا بها لخدمة جنابه ، وتمكننا بها من تعرية الباطل واجتنابه ، وتبيين قدره الشريف الذي أنزله الله في كتابه ، وأن لا شريك له في أداء رسالته ، وأن لا نبي بعده .

فبالله نقول إنّ الذي جاء بالرسالة لا يمكن أن يكون إلا مَثَلَها الأعلى ، ولا يُرى كمالُها إلا منه ، ولا يُفَسَّر ما غَمُض منها إلا بفعله أو قوله ، ومُحال أن يكون غيره أعرف منه بشيء

منها صَغُر أو كَبُر ، فلا يؤخذ تفسيرٌ أو تأويلٌ من أي أحد فيما بُعث وأُرسِل به صاحب الرسالة أثناء وجوده . وفي حضرة صاحب الرسالة المعظم لا يحق لامرئ أن يفسِّر أو يؤول القرآن ، أو يتهم الرسول في صحة علاقته بربه . والقول بغير ذلك اتّهامٌ لصاحب الرسالة المعظَّم في أدائه لها بنقص في العلم أو خطأ في السلوك ، وذلك يعني أنه ليس هو المرجعيَّة فيما أرسل به من ربّه!! وهو أقرب لقول القائلين ﴿لَسْتَ مُرْسَلا﴾[1] وتنتفي بذلك المرجعيَّة في الدين ، لأنه لن يكون لها ضابط ، إذ أن الضابط هو علاقة الرسول بالمُرسِل . أما غيره فلا يوجد لديه ما يَستَنِدُ إليه على صحّة ما يدّعيه إلا إذا كان شريكاً في الرسالة فيستند إلى المصدر نفسه ، وهذا مُحال . فالله سبحانه قد اختار رسوله المكرَّم وفضّله على غيره ، ولا شريك له فيما بعَثَهُ به ولا أفضل منه ، ولا يماثله بشر ليُصحِّحه فيما بُعث به . وأسنَدَ إليه الأمرَ كُلّه – قال تعالى ﴿ ... فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] . كما أنه يستحيل أن يستند غيره في ما يدعيه إلىّ من أرسَل الرسول أو إلى الرسالة ، دون أن يكون شريكاً في الرسالة وهو المحال لأن ذلك يعني الشك في علاقة المُرسَل بمن أرسله ، وأنه ليس هو الأفضل عنده في القيام بهذه الرسالة ، وهو الشك في اختيار

(١) سورة الرعد ، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٦٧ .

الله للأفضل لأداء رسالته!! كما أن الغير نفسه – بعد الإيمان– مُطالَب بالإتباع للنبي صلى الله وبارك عليه وآله من قِبَل المُرسِل لا بمنازعته التي تحبط الأعمال ولو بمجرد رفع الصوت ، فالإيمان بالرسول صلى الله وبارك عليه وآله ، والقبول بكل ما يقول ويفعل ، والتسليم الكامل ، هو مَطلَب الحق من عباده الذين آمنوا ؛ قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[1] وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ...﴾[2] لأن الرسول هو الذي يُخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور . قال تعالى ﴿رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[3] . ولا يدانيه في علمه وعقله وفضله وأخلاقه أحد فهو أشرف الخَلق وأكرمهم عند الله .

انطلاقاً من هذا ، فإنه لا يوجد مجال لمقارنة فعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله أو قوله ، بفعل أو قول شخص آخر لرؤية أيهما أفضل!! فإن الذي اختاره الله لأداء رسالته لا يمكن أن يوجد من يوازيه أو يدانيه في فعل أو قول أو خَلق أو خُلُق أو علم ، فلا يوجد مجال لُمقارنة أصلاً . فإن وُجِد أثرٌ يقول بغير

(١) سورة محمد ، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة الطلاق ، الآية : ١١ .

ذلك ، فقد وجب النظر في هذا الأثر المريب ، والبحث والتدقيق لمعرفة الدسّ وسوء القصد وإبطاله ، لاتقاء الهلاك من الوقوع في القدر الشريف . ولا يمكن أن تُغمَض عليه الأعيُن بحجة أن هذا ما وجَدْنا عليه السَّلَف . وليس كل ما كان عليه السَّلَف محموداً . ولو كان السَّلَف لا يُخطئون لما احتاجت الأمم إلى إرسال الرُّسل تترا . فالتقديس لما عليه السلف وإعطاؤه العصمة ، وتحريم نقده ورفض تغيير ما لا يصلح منه إلغاءٌ للعقل ، وتحجير على الله بوقف فضله عليهم . فمن هذا الذي حَكَم على الله وأفتى بأنّ فضل الله وعطاءه انتهى عند السلف ولم يبق له شيء؟

ولا عبرة بما كان عليه السلف إذا جاءوا بما يُخالف كتاب الله وعصمة الرسل صلوات الله عليهم ، فالفهم غير مقدّس والسلف ليسوا معصومين .

ولكن هناك مَن يرون في هذا الطرح خروجاً وهدماً لقواعدهم المؤسسة على فهم من سبقهم وفتاواهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا . . .﴾[1] كأن ما مر عليهم من الزمن أعطاهم نوعاً من القداسة والعصمة!! والتعصّب هو الداء الأكبر والعدوّ اللدود لحرية الفكر التي دعا إليها نبيُّ الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله وأنزلها الله في كتابه . والتعصب هو المُفضي

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٠٤ .

إلى العُنف لا إلى السلام الذي هو الغاية من الرسالات ؛ بينما تعريف الناس بالله هو الأصل في الرسالات ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[1] فالنبي صلى الله وبارك عليه وآله عندما فتح مكة لم يفرض عليهم الإسلام ولا الجِزية على من رفض الإسلام ، بل تركهم طُلقاء ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وكان ممن حضر ذلك وسمعه أبو سفيان وابنه معاوية لذلك لا يستطيع أحد أن يجزم أنّ كل من حضر آنذاك وسمع قول النبي قد نطق بالشهادة وصار صحابياً! ولم يقتل النبي صلى الله وبارك عليه وآله في فتح مكة أحداً بل تبرأ مما فعل خالد بن الوليد لقتله بعض كفار مكة وقال «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»[2] . حتى الدعاء على المشركين أبى أن يفعله حينما طلب منه أصحابه ذلك وقال «لم أُبعث لعّاناً وإنما بُعثتُ رحمة»[3] . ومن هنا كان وجوباً إعادة النظر فيما وجدنا عليه آباءنا في ما نُسب إلى الذات الشريفة المحمدية من تهم . والمرجعيّة في ذلك هي ما أنزَل الله ، وشخص النبي الكريم الذي فضّله الله ليس على من كان في عصره فقط ، بل على الخلق أجمعين ، ومدَحه بالخُلُق العظيم ، ووصَفه بالرحمة

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ .

(٢) صحيح البخاري .

(٣) صحيح مسلم .

للعالمين ، وأرسله ليعلم الناس الكتاب والحكمة . فلا فعل أفضل من فعله ولا قول أحسن من قوله ولا ذات أفضل من ذاته . ولا يدانيه أحد من الخلق في صفة من خَلقه وخُلقه وعلمه صلى الله وبارك عليه وآله الحبيب الأعظم .

ولقد حملت المصادر الإسلامية ما لا يمكن السكوت عليه من تهم في حق رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وقد أوجب عليّ خطر السكوت عنها تبيانُها وإيضاحها والتصدي لمن يعتقدونها بإبراز الحق والحجة البالغة في كتاب الله تعالى لعل في ذلك تنبيه لمن سمعها وقبلها وهو غافل ، وتبصير لمن أخذها عن شيخ كأنها أمر من أمور الدين يجب أن يأخذه كما هو دون سؤال أو تمحيص بحجة أنه في المصادر الإسلامية ، ودعوة لمن كانت هذه الاتهامات سبباً لخروجه عن الإسلام .

وعلى الله قصد السبيل .

(١)
الاتهام في مسألة أسرى بدر

قال تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا . . .﴾[1] .

اللقاء هنا – ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا . . .﴾ – مقصود به الحرب ولا شيء غيرها وهي لا تكون إلا ضد المعتدين . والكفار والمشركون معتدون بطبعهم على حرية الفكر والدين ، ويصرّون على منع الناس من اختيار مُعتَقَد أو ترك مُعتَقَد ، بل يعتدون على أصحاب الفكر والإصلاح ، فيسخرون منهم ويستهزئون بهم وربما قتلوهم كما حصل لأنبياء الله على مر الدهور . فجاء الأمر الإلهي ليبين كيفية الحرب عليهم– ﴿. . . فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ . . .﴾[2] – والإثخان في الحرب هو إيصال العدو إلى حالة الإنهاك بحيث يقوم بعض أفراده بتسليم أنفسهم أسارى خوفا من القتل ، أو أن يقوم الصف المنتصر بأسرهم بفعل حالة

(١) سورة محمد ، الآية : ٤ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٤ .

السيطرة في ساحة المعركة، ولهذا فالمطلوب من المسلمين اللجوء إلى أَسْر الكفار المنهزمين، لا الاستمرار في قتلهم، وضرب الرقاب. إذ ليس المقصود من الحرب في الإسلام الإبادة للعدو بل النصر عليه، فإذا بان النصر وأثخنوا العدو – ﴿... حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ...﴾ – على المسلمين بعد ذلك اللجوء إلى أسر المنهزمين، وهو قوله تعالى ﴿... فَشُدُّوا الْوَثَاقَ...﴾ وهو الأسر. فالله سبحانه قد أمر بالأسر في الحروب لمنع إبادة الأعداء المنهزمين – ولكن بعد الإثخان– لأن الأسير لا يقتل، ومَن أُسِرَ وجَبَت معاملته بالحُسنى، لا القتل، لأن مكان القتل هو ميدان المعركة. وقد بيّن الله سبحانه وتعالى معاملة الأسرى بعد المعركة– ﴿... فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً...﴾ فلا وجه لقتل أسير في الإسلام، بل تجب معاملته برفق وإحسان. ولم يمدح الله سبحانه قَتَلة الأسرى ولم يأمر بقتل الأسرى، ولكنه قد مدح الذين يُحسنون إلى الأسير، ووَصَفهم بأنهم من المُحبين لله بذلك السلوك؛ قال تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[1]. وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بمخاطبة أسرى بدر ودعوتهم إلى إحسان السريرة التي يتبعها إحسان التعامل كي يغفر لهم، لأن الدين المعاملة. فإن من حسنت سريرته حسنت أخلاقه وتعامله، وكان أهلاً ليغفر الله

(١) سورة الإنسان، الآية: ٨.

له، لأن صالح الأخلاق هي التي بعث النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليتممها، ومن أجلها كانت البعثة. وهو أمر تجاهله أو جهله الكثير ممن يتصدون للحديث عن الإسلام، فالحديث عن الأخلاق وحُسن التعامل هو الأقل حظاً عند كثير منهم، لأنهم أخطأوا أو جهلوا أو تجاهلوا لماذا بُعث محمد صلى الله وبارك عليه وآله، فيميلون لمدح من غلظ طبعه وخشن تعامله وخاطب الناس بالعصا. ولم يأمر الله سبحانه وتعالى النبي بسوء معاملة الأسرى الذين جيء بهم إليه، ولا حتى بغليظ القول، ناهيك عن قتلهم فالله سبحانه أمر النبي بمخاطبة الأسرى ولم يأمره بقتلهم فكيف يقال أنه عاتبه في عدم قتلهم فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] وهذا هو أسلوب الدعوة إلى الإصلاح الذي جاء به نبي الرحمة ولم يأمره سبحانه بقتل من في أيديهم من الأسرى إذا لم يقولوا «لا إله إلا الله»! ولم يأمر كذلك المشركين بمكة بعد أن هزمهم وفتحها بأن يقولوا «لا إله إلا الله» بل تركهم طلقاء، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وكان منهم أبو سفيان ومعاوية إبنه فما أعظمها من رسالة وما أعظمه من نبي!

فهو الرحمة المُهداة للناس كافّة، صلى الله وبارك عليه

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

وآله ، والمؤسِّس لحقوق الإنسان سواء كان هذا الإنسان حياً أو ميتاً و بغض النظر عن دينه وجنسه ، فقد وقف حينما مرت به جنازة فقيل له إنها ليهودي ، فقال صلى الله وبارك عليه وآله **«أليست نفساً»**(١) . . . وقيل له يا رسول الله أدع على المشركين قال **«إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»**(٢) . فإذا كانت بعثته صلى الله وبارك عليه وآله لا يوجد فيها متسع للدعاء على المشركين فكيف يكون فيها من القسوة والغلظة ما يصل إلى قتل الأسرى الذين هم أحوج الناس إلى الرحمة التي يمثلها محمد رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله .

والقتل والأسر لا يُباشره إلا المُحاربون في الميدان ، الذين قد لا يلتزمون بما لديهم من أوامر من القيادة العليا ، كما فعل الأصحاب في معركة أُحُد ؛ حيث أمر النبي الرماة ألا يتركوا أماكنهم وإن تخطَّفَهُم الطير **«جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»**(٣)

فهل التزم الصحابة المقاتلون هنا بأمر النبي؟ كلا ثم كلا .

(١) صحيح البخاري .

(٢) صحيح مسلم .

(٣) صحيح البخاري .

فلم يلتزموا بالأمر بل خالفوه صراحة وعصوه وأثبت الله ذلك في كتابه قال تعالى ﴿ . . . وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ . . . ﴾(١) رغم تشديد النبي عليهم بقوله **«وإن تخطفنا الطير»**! وكان هذا هو السَّبب المباشر في هزيمتهم في معركة أُحُد . وقبل ذلك في معركة بدر حدّد النبي صلى الله وبارك عليه وآله موضع مصارع من سمَّاهم من المشركين ، ولم يأمر بعدم قتل أحدٍ سوى العباس رضي الله عنه **«عن بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر ثم من لقي منكم العباس فليكفف عنه فإنه خرج مستكرها»**(٢) ولكن ماذا فعل المقاتلون في الميدان؟ لقد سارعوا إلى أسر الكفار حينما لاحت بوارق النصر وهزيمة المشركين لأن في الأسر فائدة مادية للآسر ، إذ له سلب المأسور وما عليه وعتاده . . ففضلوا الأسر لأجل الغنائم!!

فهل فهموا من تحديد النبي صلى الله وبارك عليه وآله لمصارع القوم أنه أمر بأسرهم؟ والإجابة واضحة ، فقد كانت إشارة من النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليثخنوا العدو في المعركة لا ليأتوه بالأسرى ، كما أن استثناء العباس من القتل فيه إشارة أيضاً إلى الإثخان إذ لم يستثن غيره ، ولكن الصحابة المقاتلين فضّلوا الأسر وشد الوثاق قبل الإثخان ، ولم يلتزموا

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

(٢) المستدرك على الصحيحين .

بالتوجيه النبوي ، ولا بالأمر الإلهي ، الذي هو ضرب الرقاب حتى الإثخان (النصر) ، وليس الأسر قبل ذلك . فجاءت المؤاخذة عليهم من الله سبحانه وتعالى ﴿ . . . تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا . . . ﴾[1] ، وعرَض الدنيا هنا هو ما يعود على الآسِر من الفائدة المادية من المأسور من سَلَبِه وماله وما عليه ، وهي الغنائم إذ أنهم لم يراعوا ما أشار إليه المعلم القائد ، كما لم يراعوا ما قال لهم صراحة بعد ذلك في معركة أُحُد ، حينما أمرهم بصريح العبارة أن لا يغادروا مواقعهم ؛ فخالفوه وعصوه ولم يلتزموا رغم قوله «**وإن تخطفنا الطير**»! فجاءت الآية الكريمة مؤاخذة لهم ومبينة عصيانهم ﴿ . . . وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ . . . ﴾[2] .

وهنا في معركة بدر فإن الخطاب موجَّه للذين سارعوا إلى الأسْر قبل الإثخان فقال لهم ﴿ . . . تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ . . . ﴾[3] وليس خطاباً موجهاً للنبي صلى الله وبارك عليه وآله وإلا لكان الخطاب للفرد ﴿ . . . تُرِيد . . . ﴾ لا للجماعة ﴿ . . . تُرِيدُونَ . . . ﴾ . فكانت المؤاخذة لمخالفتهم لما أشار إليه النبي صلى الله وبارك عليه وآله .

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

ولا يمكن أن يُفهم من الآية أن تكون المؤاخذة كما قالوا موجهة للنبي صلى الله وبارك عليه وآله ، وذلك لأنه يتعين في هذه الحالة أن يكون علمه بوجوب قتل الأسرى سابق للحدث لقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ . . . ﴾[1] وهو علم ينبغي أن يكون مُكتسباً بوحي مُسبق أي أنه – كما يشيرون في الحديث – كان يعلم من الله قبل الحرب أن الأنبياء صلوات الله عليهم يقتلون الأسرى ولا يقبلون الفداء ؛ ورغم ذلك تصرف هو بخلاف ذلك . فتكون المؤاخذة لتصرفه بعكس ما لديه من علم أُوحي به إليه سابق للحدث بأن أنبياء الله يقتلون الأسرى!! وهذا ما يُفهم من تفسيرهم للآية!!

ولو كان الأنبياء يقتلون الأسرى والنبي يعلم ذلك لما كان هناك سبب لاستشارة أبي بكر وعمر وعلي عن الأسرى كما جاء في الحديث لأنه لا حاجة لرأيهم حينئذ . ولا يمكن لمسلم أن يقول إن النبي المعصوم صلى الله وبارك عليه وآله لا يلتزم بما أوحي إليه ويتصرف بعكسه مُخالفاً لربه الذي اختاره من بين خلقه – لأنه أشرفهم وأعلمهم – ليُرسي قواعد الشرع للإنسانية كافة ثم يخالف سنن الذين سبقوه من الأنبياء!! ﴿ . . . إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ . . . ﴾[2] والواقع أن النبي صلى الله

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية : ٩ .

وبارك عليه وآله لم يأمر المحاربين بأسر المشركين . فكيف يؤاخذ
بأن يكون له أسرى وهو لم يأمر المقاتلين بالأسر أصلاً؟ والفرق
كبير بين أن تأسر محارباً يريد قتلك وأن تقتل أسيراً لا حول له
ولا قوة ولم تكن لك يد في أسره! والمؤاخذة في الآية تتعلق
بأسر المحاربين لا بقتل المأسورين وشتان بين الأمرين ، فالأسير
ينظر إلى الرحمة والمحارب ينظر إلى القتل .

ثم ماذا كان بعد أن انتهت المعركة بصورتها غير المرضية
من حيث أن المحاربين خالفوا ما أشار إليه النبي صلى الله وبارك
عليه وآله وسارعوا إلى الأسر قبل الإثخان وجاءوه بسبعين
أسيراً؟ الحديث يوضح أنّ عمر كان شديد الحرص على قتل
الأسرى فلماذا إذاً لم يقتلهم في الميدان قبل الإتيان بهم لرسول
الله؟ ولماذا لم يقتل على أقل تقدير قريبه الذي استأذن رسول
الله صلى الله وبارك عليه وآله في قتله فإن ساحة الحرب هي
محل القتل؟!

لقد أُخذ الأسرى إلى المدينة ليُعاملوا كما تجب معاملة
الأسرى ، لا ليُقتلوا ، لأن الميدان هو مكان القتل والحرب .
والذي ينبغي في التعامل معهم هو ما أمر به الله سبحانه
وتعالى : ﴿ ... فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ... ﴾[1] وهذا هو
الخُلُق المُحمّدي فقد كان صلى الله وبارك عليه وآله خُلُقه
القرآن . وهو المبعوث رحمة للعالمين وليس للمسلمين فقط ،

(١) سورة محمد ، الآية : ٤ .

ففعلُ النبي صلى الله وبارك عليه وآله كله حق لأنه حق ولا
يصدر من الحق إلا الحق ، قال تعالى ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ...﴾[1] ﴿ ...
فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ...﴾[2] فالأسير مصيره الإفراج
عنه عاجلاً أو آجلاً ، إما امتناناً عليه وتركه حُراً دون قيد أو
شرط وإما مقابل فدية يلتزم بها هو أو أهله يفدي بها نفسه ،
كما جاء في الآية الشريفة مع وجوب حسن معاملته .

على ضوء ما ذكرنا لننظر إلى ما جاء في كتب الحديث
وهل يوافق ما جاء في كتاب الله ويتناغم مع النهج المحمدي
الذي هو ترجمة للقرآن في الحروب والأسرى؟ جاء في مسند
احمد بن حنبل «عن ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال : «لما كان يوم بدر ... فهزم الله عز وجل
المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً ،
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمر
رضي الله عنهم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا نبي الله
هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم
الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله
أن يهديهم فيكونون لنا عضداً ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال : قلت : والله ما

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨٦ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٣٢ .

أرى ما رأى أبو بكر رضي الله عنه ، ولكني أرى أن تمكنني من فلان – قريبٌ لعمر – فأضرب عنقه ، وتُمكّن علياً رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه ، وتُمكّن حمزة من فلان – أخيه – فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت ، فأخذ منهم الفداء فلما أن كان من الغد قال عمر رضي الله عنه : غدوت إلى النّبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وإذا هما يبكيان فقلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ، قال : فقال النّبي صلى الله عليه وسلم : الذي عرض عليّ أصحابك من الفداء لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة ، وأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ ... إلى قوله : ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ...﴾[1] من الفداء ، ثم أحل لهم الغنائم فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفرّ أصحاب النّبي صلى الله عليه وسلم عن النّبي صلى الله عليه وسلم ، وكسرت

(١) سورة الأنفال ، الآيات : ٦٧ ، ٦٨ .

رباعيته وهُشّمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ، وأنزل الله تعالى ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ...﴾[1] الآية بأخذكم الفداء» .

الحديث يقول إن عمر بن الخطاب أشار إلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله بقتل الأسرى وهو أمر لا يُقرّه الله سبحانه في كتابه ، ولا النبي صلى الله وبارك عليه وآله في سُنّته وشرعه ، وهو أعلم الخلق بالله ، وبكتاب الله ، وكيفية الدعوة وأسلوبها . لأنه لا يتبع إلا ما يوحى به إليه . فهو معصوم من إتباع الهوى . ثم إن قتل الأسرى لا ينفي وجودهم كأسرى قبل قتلهم! وليس قتل الأسرى بعد الحرب هو الإثخان لأن الإثخان يعني الغلبة والسيطرة في الميدان قبل الأسر ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾[2] وليس بعد الأسر . والمؤاخذة الإلهية إنما كانت في المسارعة إلى أسرهم وليس في عدم قتلهم بعد الأسر ولا توجد إشارة في الآية لقتل الأسرى بل الإشارة إلى اتخاذ الأسرى قبل الإثخان . ولم يكن توجيه النبي صلى الله وبارك عليه وآله وما أشار به للمحاربين هو أن يأتوه بأسرى ، الذي هو محل المؤاخذة من الله سبحانه في هذه الآية .

نجد أن الذين أشار عمر بقتلهم وقال هم أئمتهم وصناديدهم وقادتهم هم : العباس – الذي أمر النبي بأن لا

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٥ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٤ .

يُقتل قبل المعركة – وقد يكون لعلمه صلى الله وبارك عليه وآله بإخفائه إسلامه ، رغم أنّ فعل النبي لا يحتاج منّا إلى تبرير بل يُقابَل بالطاعة التامة والتسليم الكامل لقول الله تعالى ﴿ . . . وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[1] ومنهم عُقَيل أخو علي بن أبي طالب عليه السلام . فهل هؤلاء هم أئمة الكفر وصناديدهم وقادتهم؟ هؤلاء بنو هاشم – عم النبي وابن عمه . ويريد عمر– كما جاء في الحديث – أن يقوم حمزة رضي الله عنه بقتل أخيه العباس الذي أمر النبي المحاربين بعدم قتله ؛ وعمر يعلم ذلك الأمر . ويقوم علي عليه السلام بقتل أخيه عقيل رضي الله عنه . ورجل آخر لم يسمّه الحديث يريد عمر قتله بنفسه! هل هؤلاء هم كلّ أسرى بدر؟ لماذا اقتصر الحديث على هؤلاء الثلاثة؟ فهل قتل هؤلاء هو الرحمة التي جاء بها نبي الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله؟

يريدون أن يُظهروا في الحديث حرص عمر بن الخطاب على قتل المشركين في قوله «**حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم**» وهذا قول مردود ، فالحرص على القتل يكون في الحرب لا بعد الأسر ، فقد بيّنّا كيف يُعامل الأسير في الإسلام . أما عِلمُ الله بما في القلوب فليس الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى أحد ليبيّنه له بِعَمل ظاهر! لأنه جلّ جلاله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ

(1) سورة الأحزاب ، الآية : 56 .

الصُّدُورِ﴾[1] والقول بأن «**هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم**» قول غير صحيح ، إذ ليسوا هم كذلك! فلم يُذكر قط في أي مصادر من المصادر الإسلامية أن العباس وعقيل رضي الله عنهما كانا أئمة الكفر وقادتهم وصناديدهم . ثم أين بقية الأسرى السبعين؟ ولماذا اقتصر الحديث على بني هاشم بأسمائهم وثالث لم يُسَمّ؟ وأين رأي علي بن أبي طالب الذي ذُكِر في الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله استشاره كما استشار أبا بكر وعمر ، ولماذا سُكِت عنه؟؟؟

الحديث يدور حول افتراض صحة رأي عمر بن الخطاب في قتل الأسرى ، مقابل فعل النبي في عدم قتلهم! وهو يهدم التشريع المحمدي في الحروب في الإسلام في التعامل مع الأسرى ، ومخالف لكتاب الله سبحانه وتعالى وسنّة الرسول الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله . ولا يقف الأمر عند هذا الحد : – مخالفة ما جاء في كتاب الله جلّ وعلا ، وسنة رسوله الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله– بل يتعدّاه ليبين أن تصرف المعصوم وتشريعه في التعامل مع الأسرى كان خطأ يُحاسب عليه!! كأن هناك أحد الأنداد مُشرّع معه يمكن أن يصيب في أداء الرسالة ويخطئ النبي صلى الله وبارك عليه وآله في أدائها!!

ويصف الحديث النبي صلى الله وبارك عليه وآله بأنّه ندم

(1) سورة هود ، الآية : 5 .

على مخالفته لرأي عمر في أخذه الفداء من الأسرى ، وظل يبكي على ذلك ، فقال له عمر حينما وجده يبكي **«يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما»**[1] وهذا يشير إلى أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله يمكن أن يكون بكاؤه بلا سبب يستوجب البكاء في رأي عمر ، وإذا كان البكاء بلا سبب موجب له فلا يكون إلا تمثيلاً أو عبثاً ، وهل يكون ذلك من النبي صلى الله وبارك عليه وآله؟ إنَّ في قول عمر **«فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد . . .»** يُرى فيه الشك في صدق بكاء النبي وفعله وفي هذه الحالة فإن عمر «يتباكى» لبكاء النبي وصاحبه - مجاملةً لهما - رغم عدم اقتناعه بوجود سبب لبكائهما (**«وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما»**)!! وتوجيه السؤال لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بهذه الصورة لا يستقيم مع التعظيم لشخصه الكريم **«ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟»**! فرد النبي صلى الله وبارك عليه وآله على عمر **«لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة»** وكلمة **«الشجرة قريبة»** قطعاً هي ليست من كلام النبي صلى الله وبارك عليه وآله وكذلك ما تلاها من الحديث . فهل تصرّف المعصوم صلى الله وبارك عليه وآله بغير أمر الله سبحانه ليعاقبه الله (**«عوقبوا بما صنعوا يوم بدر»**) على تصرُّفه؟ ويستمر

---

(١) صحيح مسلم .

الحديث فيقول «وأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ . . . إلى قوله : ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ . . .﴾[1] من الفداء» ويبدو جلياً في هذا الجزء من الحديث إلقاء اللوم على النبي المعصوم صلى الله وبارك عليه وآله لقبوله الفداء واتهامه بالإخفاق في صحة أداء رسالته!!! وهذا ما يرمي إليه الحديث كله!

من المعلوم أن الفداء يتم الإتفاق عليه مع الأسير أو يُفرض عليه لم يدفعه مما لديه من مال في عقبه ، أو يدفعه عنه أولياؤه بعد ذلك . ولا يتوقع أن يكون مع الأسير شيء سوى جلده الذي أُسر به . لكن يلاحظ في الحديث كأن الفداء كان مع الأسرى وأخذه النبي منهم وأصبح من الغد يبكي على ذلك!!! فقد جاء في الحديث «**ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء . ولما كان من الغد . . . فإذا هو قاعد وأبوبكر يبكيان . . .**» والأسير لا يملك في أمر الفداء إلا الإتفاق على نوعية الفدية وقدرها . فقد تكون عملاً يقوم به الأسير ، كما جاء في أمر هؤلاء الأسرى أن منهم من كانت فديته أن يُعلم عدداً من أبناء المسلمين!! . ولا يقال أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله أخذ الفداء فليس لدى الأسرى شيء يؤخذ إنما يمكن أن يُقال أنه قبل الفداء الذي سينفذ لاحقاً . فالقول بأنه «**أخذ منهم الفداء**» لا يصح أصلاً .

---

(١) سورة الأنفال ، الآيات : ٦٧ ، ٦٨ .

الأرجح في تفسير ﴿ . . . لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ . . . ﴾[1]

إما أن يكون ﴿ . . . فِيمَا أَخَذْتُمْ . . . ﴾ من الأسرى قبل الإثخان - فما كان ينبغي لهم أن يأخذوا أسرى قبل أن يُثخنوا العدو- وإما أن يكون ﴿ . . . فِيمَا أَخَذْتُمْ . . . ﴾ من عرض الدنيا وهو ما كان لدى الأسرى من عتاد ومتاع وهي الغنائم حيث جاء بعدها ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] . وفي كلا الحالتين ، يقع اللوم على الصحابة ، لا على النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، إذ يستحيل أن يقع عليه اللوم لقول الله تبارك وتعالى ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾[3] . فقد جاء في الحديث «ثم أحل لهم الغنائم» والغنائم هي التي كانت السبب فيما كان من التوبيخ الإلهي في المسارعة في الأسر لأنها ﴿ . . . عَرَضَ الدُّنْيَا . . . ﴾ ولولا أن رحمة الله سبقت غضبه ﴿لَّوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ . . . ﴾ لكان العقاب والعذاب واقع بهم لا محالة فيما أخذوه منها ﴿ . . . لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ولكن ﴿ . . . وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ . . . ﴾[4] فإن الله سبحانه أخذ العهد على نفسه ألا يعذب قوماً فيهم رسول

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٨ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٦٩ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٥٤ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٣٣ .

الله صلى الله وبارك عليه وآله -وقد يدخل في هؤلاء من كان محمد في قلبه بالحب أكثر من والده وولده- فشملتهم الرحمة التي يمثلها محمد نبي الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله فأحلّ لهم الغنائم لأجله ، ولم تحل لنبي قبله ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ . . . ﴾[1] .

أما قبول الفداء من الأسرى فقد بينه الله في مُحكم تنزيله ﴿ . . . فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً . . . ﴾ ، وليس الفداء هو الغنائم ، والآيات تتحدث عن أخذ الغنائم لا عن قبول الفداء الذي أوجب الله التعامل به مع الأسرى ، كما قال تعالى في محكم تنزيله ﴿ . . . فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً . . . ﴾ . فلا مجال الطعن في قبول الفداء من الأسرى ، وهو الذي فعله النبي صلى الله وبارك عليه وآله كما أمره الله تعالى . والقول بغير ذلك يخالف صريح القرآن وفعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله .

فالمخالفة والمؤاخذة إنما كانت على الصحابة في المسارعة للأسر لأخذ الغنائم ، لا على النبي صلى الله وبارك عليه وآله في تعامله مع الأسرى متبعاً ما يوحى به إليه في قبول الفداء . ولينظر المسلم أين هو من نبي الله المعصوم!! ولنقرأ الآيات المذكورة في الحديث متتالية ليتضح أنّ المقصود بها في المؤاخذة هم الصحابة في تسرعهم للأسر من أجل الغنائم لا النبي في

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٩ .

قبوله الفداء . قال تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(1) .

أما الآيات التي تليها مباشرة فهي التي تخاطب الرسول صلى الله وبارك عليه وآله فيما يتعلق بالأسرى الذين أتى بهم المحاربون إلى نبي الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله . قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ ...﴾ من الغنائم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(2)

وهذه توضح أسلوب التعامل مع الأسرى وهو مخاطبتهم ومقابلتهم بالرحمة التي لم يكونوا يعرفونها من قبل ؛ ومواساتهم بطريق الدعوة إلى الخير والصلاح ليغفر الله لهم ﴿... إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ ...﴾ وهذه الدعوة جاءت بعد الذي أخذ منهم – لإصلاح سرائرهم – ليؤتهم الله خيراً منها . فنبي الرحمة إنما بعث ليتمم صالح الأخلاق . فإن استجابوا كان لهم من الرزق

(1) سورة الأنفال ، الآيات : 67–69 .

(2) سورة الأنفال ، الآيات : 70–71 .

خيراً مما أخذ منهم من الغنائم وتتبعه المغفرة ﴿... وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ . والله سبحانه وتعالى يبين لنبيه الكريم أن الإفراج من الأسرى هو الذي ينبغي أن يتم ، ولو كان الذين يراد الإفراج عنهم يبيتون نية السوء والخيانة . ولا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في عدم الإفراج عنهم ، فالله سبحانه متكفل بحفظ نبيه ، ولن تمكنهم خيانتهم من الإفلات إن فعلوا ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ...﴾(1) فهذه الآيات هي التي تتعلق بأمر الأسرى وكان الخطاب الإلهي فيها موجهاً للنبي صلى الله وبارك عليه وآله ليخرج ما أوحي به إليه .

إني لأعجب ممن يريدون أن يضعوا عمر بن الخطاب ﵁ في مثل هذه المواقف بهذه الصورة ثم يقولون إنها من مناقبه! فهل من المناقب مخالفة الرسول المعصوم وكتاب الله الحكيم؟ وإنني أرى أن هناك نهجاً وُضع في بعض الأحاديث يجيز عدم احترام فعل رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ، ثم يُصوِّب الرأي المخالف ويخطئ النبي صلى الله وبارك عليه وآله – حتى لا تكون هناك قداسة لفعله ورأيه وشخصه الكريم– ويُنسب ذلك إلى عمر بن الخطاب ﵁ ويُقال إنه من مناقبه!! وفي الحقيقة ليس هناك أسوأ من أن يوصف صحابي بمخالفة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ، لأن ذلك يخرجه عن الصحبة

(1) سورة الأنفال ، الآية : 71 .

بل عن الإسلام جملة واحدة فالأمر الإلهي للذين آمنوا هو ﴿ ... وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] . وهذا النهج من الأحاديث ، وإن وُضع في صورة مدح لعُمر ﷺ وإظهاره بالقوة والشدة ، فإنه حقيقةً قدح في حقه ووصفٌ له بالمخالفة والحدّة . كما أنه يلغي عصمة النبي صلى الله وبارك عليه وآله وتقديس فعله وأمره وشخصه الذي فرضه الله على المؤمنين ، في قوله تعالى ﴿ ... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ... ﴾[2] وقوله تعالى ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ ... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ... ﴾[4] وقال تعالى ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[5] . وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾[6] .

فالحديث لا يرسي أي قاعدة فقهية إسلامية بل يهدم قاعدة حقوق الإنسان في أمر الأسرى ، وفي إدارة الحرب في الإسلام ، حيث ينبغي أن لا يسارع المحاربون إلى أسر الأعداء ،

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة الحشر ، الآية :٧ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٤) سورة النور ، الآية :٦٣ .

(٥) سورة الفتح ، الآية :٩ .

(٦) سورة محمد ، الآية : ٣٣ .

إلا بعد إثخانهم ولا يستمروا بعد ذلك في إبادتهم . فليس الحديث أي أهمية تشريعية في أمر الأسرى سوى تبيان مخالفة عمر لفعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، ومحاولة إظهار صحة تلك المخالفة ، ليكون فعل النبي هو الخطأ!!

ولا أظن أن هناك صحابياً يفرح إذا وُصِف بأنه خالف النبي صلى الله وبارك عليه وآله!! ويستحيل أن تكون الصحة في مخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله . كما أن في الحديث مخالفة صريحة لكتاب الله سبحانه وتعالى فيما ينسب إلى عمر بن الخطاب ﷺ حيث يقول الله سبحانه في أمر الأسرى ﴿ ... فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ... ﴾ وعمر يقول بقتل الأسرى!!

قد ذُكر أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله قال قبل بداية الحرب «من لقي منكم العباس فليكفف عنه»[1] فهل يا ترى لم يروا أن عمر ﷺ لم يسمع بتوجيه الرسول القائد لجيشه قبل المعركة؟!! إذ من المعلوم بالضرورة أن كل كلمة تصدر من القائد قبل المعركة تكون محل سمع واحترام وحرص من جميع المحاربين ناهيك عن أنّ القائد هنا كان رسولاً نبياً . وإذا كان هذا أمرٌ مُسْبَق من النبي صلى الله وبارك عليه وآله بعدم قتل العباس في الميدان فكيف يقولون إن عمر ﷺ أصرَّ على قتل العباس بعد أن أصبح أسيراً؟!!! وكما ذكرنا إن الحديث قُصِد به

---

(١) المستدرك على الصحيحين .

تبيان صحة رأي عمر ، في مقابلة فعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله!!! وقد بيّن الواقع التاريخي عكس ذلك وأن أخذ الفداء كان هو الأصوب . فقد احتاج عمر ﵁ في عهده بمن كان حريصاً على قتله اي العباس ﵁ ليستسقي به فأنقذ الناس من القحط! فهل كان الأصوب غير ما فعله النبي صلى الله وبارك عليه وآله في قبوله الفداء؟ ولا تسوق ذلك دليلاً على الصحة بل الصحة فيما أمر الله تعالى وفَعَلَه النبي صلى الله وبارك عليه وآله .

وجاء في حديث آخر أن عمر قد أمعن في كِتاف العباس بعد أسره حتى أنه كان يئِنّ طول الليل ولم ينم رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله من أنين عمه العباس «روى بن عائذ في المغازي من طريق مرسل أن عمر لما ولي وثاق الأسرى شد وثاق العباس فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم يئن فلم يأخذه النوم»(1) . فهل المقصود أن يُفهم من هذا أن في نفس عمر شيء من تمييز النبي صلى الله وبارك عليه وآله لعمه العباس في قوله «من لقي منكم العباس فليكفف عنه»؟ ولو افترضنا أنّ عمر لم يسمع من النبي الكف عن العباس ألا يوجد ممن سمع ذلك ليقول لعمر ما سمعه من النبي؟ ثم إنه أليس في هذا الفعل إذية للنبي صلى الله وبارك عليه وآله بلغت حد منعه النوم؟ وهل يراد من ذالك إدخال عمر في

(1) فتح الباري .

الآيـة ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾(1)؟

«ويستمر الحديث ليشمل معركة أحد فيقول «فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء»»(2) والمقصود بكلمة «عوقبوا» هنا هو النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، فهو الذي أخذ الفداء كما جاء في الحديث!! وأتى الفعل المجهول بصيغة الجمع حتى توارى فداحة المقولة التي يستحي كل مسلم أن تجري على لسانه أو خاطره وهي «عوقب النبي بما صنع يوم بدر من أَخْذِه الفداء» «وكسرت رباعيته وهُشِمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وفر عنه أصحابه» هذا القول كأنه شماتة على النبي صلى الله وبارك عليه وآله لأنه أخذ برأي أبي بكر ﵁ ولم يأخذ برأي عمر كما قال «ولم يهو ما قلت» . فقد جاء في الحديث «فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت ، فأخذ منهم الفداء» والرسول صلى الله وبارك عليه وآله لا يتّبع الهوى بل يتّبع ما يوحى إليه . قال تعالى ﴿... إنْ أتبعُ إلاّ ما يُوحَى إليّ ...﴾(3) . والحديث يقول إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله تصرف بما يهوى!!! فهل هذا نهج عمر بن الخطاب ﵁ الخليفة الثاني؟!!

(1) سورة التوبة : الآية 61 .

(2) مسند أحمد .

(3) سورة الأحقاف ، الآية : 9 .

كما ذكرنا فإن السبب في هزيمة الصحابة في معركة أُحُد كان هو مخالفة وعصيان الصحابة المُحاربين لأمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله وترك مواقعهم ، وليس قبول النبي للفداء من الأسرى في معركة بدر في السنة السابقة - الذي هو الحق من عند الله - لأن العقاب والعذاب إنما يكون بمخالفة أمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله لأن طاعته طاعة الله ، ومن أجل هذا جاء التحذير الإلهي من مخالفته ﴿ . . . فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] فكانت هزيمة الصحابة في معركة أُحُد نتيجة المخالفة للأمر المحمدي الذي حذرهم منه الله سبحانه وتعالى لأنّ أمر الرسول تجب طاعته جزماً دون تردد لأن طاعة الرسول لا تنفك عن طاعة الله لقوله تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ . . .﴾[2] . والآية التي ذُكرت في الحديث تشير بوضوح إلى ذلك حين تُقرأ كاملة وهي ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] . فالخطاب الإلهي موجّه إلى الذين كانوا يتساءلون ﴿ . . . أَنَّى هَٰذَا . . .﴾ وحاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أن يكون هو المُعترض على الله فيما

(١) سورة النور ، الآية :٦٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٥ .

أصابهم ويقول لربه ﴿ . . . أَنَّى هَٰذَا . . .﴾ ، فالتساؤل هو من الصحابة المحاربين الذين كانوا يتوقّعون النصر كما كان في معركة بدر ، ويبدو من صيغته أنه موجّه من قِبَلهم للنبي القائد صلى الله وبارك عليه وآله كأنهم يتساءلون عن التدخل الإلهي لنصرتهم لأنهم يحاربون الكفار لنصرة دين محمد صلى الله وبارك عليه وآله .

فجاء الرد الإلهي عليهم في تساؤلاتهم ﴿ . . . قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ . . .﴾ (لمخالفتكم أمر النبي وترك مواقعكم) . لأن مخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله هي معصية الله تعالى قال تعالى ﴿ . . . وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ . . .﴾[1] ، ولا نصرة في مخالفة الرسول ولو كان العدو كافراً!! وكانت المخالفة لأمر النبي هنا أيضاً ليُصيبوا الغنائم حينما رأوا بوادر النصر وهزيمة المشركين ، فتركوا مواقعهم ، التي أمرهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله بالبقاء فيها وإن تخطفهم الطير ، وأرادوا مرة ثانية ﴿ . . . عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ . . .﴾[2] . قال تعالى ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[3] ومخالفة أمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله محتومة نتيجتها بالعذاب ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

﴿... يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] . فكيف يرجون النصر من عند الله ويقولون ﴿ ... أَنَّى هَـٰذَا ... ﴾ وهم قد خالفوا أمر نبيهم رغم تحذير الله لهم؟ فقال تعالى ﴿ ... قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ ... ﴾ وهذا هو الرد الإلهي على تساؤلهم عن هزيمتهم في معركة أُحُد من قِبَل المشركين . ليعلموا ، بل ليعلم كل ذي بصيرة مؤمن يرجو الله واليوم الآخر أنّ طاعة أمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله أهم من هزيمة الكفار والمشركين وجهادهم . ولا يكون نصر بمخالفته أبداً .

فكيف يُغَضُّ الطرفُ عن عصيان الصحابة المحاربين لأمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله؟ وهو من الكبائر التي توجب الفتنة والعذاب الأليم ، وهو الذي كان سبباً مباشراً في نتيجة معركة أُحُد ، فكيف يُعدَل عنه ليقال إن قبول النبي صلى الله وبارك عليه وآله الفداء من الأسرى في معركة بدر - قبل عام ومخالفته لرأي عمر!- كان هو السبب المباشر في هزيمة الصحابة في معركة أُحُد؟؟! وأقول هزيمة الصحابة لأن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لم ينهزم ولم يرجع عن الموضع الذي كان فيه في المعركة خطوة إلى الوراء . عن علي رضي الله عنه قال : «ثم **كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا أحد أدنى من القوم**

(1) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

منه»[1] ، فقد ظل صامداً شامخاً ، دونه الجبال الرواسي ، يدعوهم في أُخراهم وهم مُنهزمون لا يلوون على أحد كما وصفهم الله تعالى ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ...﴾[2] والانهزام صفة لا تليق برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله كامل الصفات ، ولا ينبغي نسبتها للمعصوم . فلا يُقبَل بأي حال من الأحوال أن يُقال إن فعل النبي الحق في معركة بدر هو السّبب في الهزيمة في معركة أُحُد ، لتُرفع المُخالفة عن الصحابة في عدم التزامهم واحترامهم بل عصيانهم لأمر النبي الكريم صلى الله وبارك عليه وآله التي أثبتها الله تعالى في محكم تنزيله ﴿ ... وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ .. ﴾[3] وتُلقى اللائمة على خير البَشَر المعصوم لمخالفته لرأي عمر ، طعناً في صحة فعله في إتباعه لوحي ربه الذي أكّده الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ ... إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ... ﴾[4] .

يلاحظ في الحديث جملة **«وفرَّ عنه أصحابه»** ، وهي التي تصف الصحابة بالفرار من المعركة والانهزام ، وهي محلّ التساؤل ؛ لأنها تبدي الراوي الذي ينسب إليه الحديث كأنه

(1) مسند أحمد .

(2) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٣ .

(3) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

(4) سورة الأحقاف ، الآية : ٩ .

ليس واحداً من أصحاب النبي صلى الله وبارك عليه وآله الفارين في معركة أحد وكأنه مراقب للمعركة من مكان بعيد وإلا كان هو من جملة الفارين!!

خلاصة الحديث هي أن ما قيل عن «معاقبة النبي» صلى الله وبارك عليه وآله في يوم أحد («وكسرت رباعيته وهُشّمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وفر عنه أصحابه») يعزى إلى مخالفته رأي عمر وأخذه الفداء في معركة بدر قبل عام! ولم يشفع له بكاؤه آنذاك! وأنّ رأي عمر كان أفضل من فعل النبي الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله! وأنّ الله سبحانه أيّد عمر وخطّأ نبيه الذي أرسله! ويُغَضّ الطرف عن مخالفة الرماة ومعصيتهم لأمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله الذي أثبته الله في كتابه ﴿... وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ...﴾(1) وتركهم لمواضعهم التي أمرهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله بالبقاء فيها وإن تخطفهم الطير! وهو الذي كان السبب المباشر لهزيمتهم في معركة أحد لأن عدم طاعة النبي صلى الله وبارك عليه وآله هي عدم طاعة الله سبحانه!.

فهل هذا هو الدرس المقصود الذي يستفيده المسلمون من معركة بدر؟ بمعنى أن مخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله لصحابي توجب عليه العقاب والهزيمة، ومخالفة الصحابة للنبي وعدم طاعته التي هي عدم طاعة الله يُسكت عنها في

(1) سورة آل عمران، الآية: 152.

الحديث ولا يُرى غبار عليها ولا يُرى أثرها في النتيجة؟! أما آن الأوان لمراجعة مثل هذه الأحاديث؟؟ ألا يدخلنا المنع في تناول المصادر بالتدقيق لمراجعة مثل هذه الأحاديث في قول الله تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ...﴾(1) أليس الأجدر أن يوصف الصحابة ﵃ بأنهم أكثر الناس التزاماً بطاعة النبي صلى الله وبارك عليه وآله التي فرضها الله سبحانه وتعالى عليهم بدلاً من أن يوصف أحدهم بمخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله ومحاولة تصويب تلك المخالفة؟ وهل يُمدح الصحابي بمخالفته لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أم بطاعته؟؟. فهل يُراد من أمر أسرى بدر شيء غير إثبات اللوم على خير البشر؟ وهل هذه طريق النجاة عند الله في اليوم الآخر؟ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾(2).

(1) سورة لقمان، الآية: 21.

(2) سورة الأنعام، الآية: 55.

(٢)
الاتهام بالصلاة على منافق

قال تعالى ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا . . .﴾[١] . فأرسى سبحانه عدم الإكراه للإنسان ﴿ . . . فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ . . .﴾[٢] وما هذه إلا تذكرة لمن أراد أن يذكر فليتدبر فالأمر جدير بكل الاهتمام ومراجعة النفس ، والنظر إلى اليوم الآخر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا رحمة الله المتمثلة في صاحب الشفاعة ، فأين أنت منه؟

يمكن القول بأنه يندر أن تجد مسلماً لا علم له بما قيل في عبد الله بن سلول من النفاق كأنه ركن من أركان الإسلام حتى صار من المسلمات ويضرب به المثل عند العامة . فما هي أهمية إثبات النفاق على عبد الله بن سلول بينما النبي صلى الله وبارك عليه وآله يقول «في أصحابي إثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»[٣] وهذا الحديث يدل على أنّ الصحبة لا تنفي النفاق وجعل

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٢٩ .

(٣) مسلم .

العلم بهؤلاء المنافقين سراً لم يعلمه أحد من الصحابة غير حذيفة رضي الله عنه ولم يسمّ أحداً منهم لا عبد الله بن سلول ولا غيره ورغم ذلك لا تجد مسلماً اليوم من السنّة أو الشيعة لا يقول بغير نفاق عبد الله بن سلول .

فالأمر قد يبدو في ظاهره إثبات نفاق عبد الله بن سلول ولكن بالتحقيق فيه فهو بخلاف ذلك بل هو أكبر وأخطر . فليس إثبات النفاق على أحد من الناس قضية خطيرة تهم الإسلام والمسلمين ، إذاً ما هو الأمر الخطير الداعي لهذا الاهتمام بإثبات النفاق على هذا الرجل؟

والإجابة أنّ الخطورة المبطنة في هذا الموضوع هي أنّه يتعلق بأعظم وأكرم وأشرف خلق الله صلى الله وبارك عليه وآله وفعله وعلمه ، بل اتهامه وإثبات الخطأ عليه!!! فلننظر في هذا الأمر بعين بصيرة لنشاهد حقيقة ما يرمي إليه ولنتمعّن الأسئلة التالية :

هل يمكن أن يُحاسب أحد الرسول صلى الله وبارك عليه وآله على رسالته؟ هل تعلم بأن رسول الله كفن عبد الله بن سلول بثوبه وصلى عليه؟! وهل الصلاة على الميت إلا الدعاء بالمغفرة؟! وهل دعاء رسول الله بالمغفرة ليس مستجاباً؟! ألا يشفع؟! هل فعل رسول الله لا قيمة له؟! هل خالف رسول الله ربه؟! هل يمكن أن يُتهم رسول الله بالجهل بالقرآن؟! هل يمكن قبول تصحيح الرسول فيما جاء به؟ وهل هناك صحابي يعلم المنافقين غير حذيفة صاحب سر رسول الله؟! هل صرح رسول

الله بأن ابن سلول من المنافقين؟! هل صرح حذيفة وباح بالسر وقال بأن ابن سلول من المنافقين؟! هل جُلد ابن سلول في حادثة الإفك عندما جُلد حسّان ابن ثابت ومن معه؟! هل تعلم بحديث أورده البخاري بأن الذي تولى كِبر حادثة الإفك هو حسّان بن ثابت؟! ألم يكن عمر بن الخطاب في خلافته لا يصلي على ميت إلا إذا حضر حذيفة الصلاة؟! إذا كان الواقع هو أن النبي وصاحب سره حذيفة لم يصرحا بأنّ ابن سلول منافق فمن أين جاء هذا الاتهام؟

اختصّ الله سبحانه وتعالى رسوله وحده بالعلم بالمنافقين حيث قال تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[1] فنفى عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله العلم من نفسه بالمنافقين وأثبت له علم الله أي جعل علمه بالمنافقين علم الله بهم . ولم يُعلم النبي أحداً بالمنافقين غير حذيفة رضي الله عنه . واحتفظ حذيفة بذلك السر ولم يذعه ، رغم محاولة عمر بن الخطاب له ليعرّفه بهم أو ليعرّفه هل هو منهم ، حتى أنه كان في خلافته يتحرّى حضور حذيفة للصلاة على الجنائز – كما ذكروا – فإن صلى حذيفة صلى عمر وإلا فلا . وهذا أيضاً يدل على أن المنافق لا يصلى عليه . فإن كان حذيفة لا يصلي على المنافق فمن المعلوم بالضرورة أن من علّمه ذلك ، وهو النبي

(1) سورة التوبة ، الآية : ١٠١ .

صلى الله وبارك عليه وآله يستحيل أن يصلي على منافق . لأنه لا ينهى عن خلق ويأتي مثله . .! ويستحيل أن يصلي على من منعه الله من الصلاة عليه .

وقد جاء في الحديث أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله إذا جاءت جنازة أحد فقراء المسلمين من الذين لم يستطيعوا أن يؤدوا ديونهم من شدة الفقر والعوز - ولو كان عليه دين قدر دينار- لا يصلي على ذلك المسلم الفقير[1] . ويقول صلّوا على صاحبكم ، ومعلوم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله أدّى دين سلمان رضي الله عنه ودين جويرية رضي الله عنها ، وهو أكرم من مشى على وجه الأرض ، وهو رحمة الله المبعوث لكلّ الخلق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2] وأسعد الناس به الفقراء والمساكين وهو القائل «من أكرم غنيا لغناه ، أو أهان فقيرا لفقره ، لم يزل في لعنة الله أبد الآبدين»[3] فكيف لا يضمن دين الفقراء عنهم ويصلي عليهم؟ فهل من الخُلُق المحمدي أن يصلي على منافق ولا يصلي على الفقير المعدم؟!! فإن ثبت أنّ النبي لم يصل على فقير مدين فإن العلة ليست في الفقر والدين بل في أمر يعلم النبي صلى الله وبارك عليه وآله من أجله أنه لا يصلي على ذلك الميت وليس ذلك إلا النفاق .

(١) مجمع الزوائد للهيثمي .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٣) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني .

قالوا إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لا يصلي على من مات فقيراً معدماً مديناً ولكنه صلى على من قالوا إنه رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وكفنه بثوبه ، ووقف على قبره حتى دفن ، فقد جاء في صحيح البخاري : أنه لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ، فأعطاه . ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله فقال : يا رسول الله ، أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنما خيرني الله فقال : ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1] ، وسأزيده على السبعين . قال : انه منافق . قال : فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2] فأنزل الله ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[3] .

واضح من الحديث أنّ عمر كان يعترض مستنداً إلى الآية

(١) سورة التوبة ، الآية : ٨٠ .

(٢) البخاري .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٨٤ .

﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ . . .﴾ لقوله «أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟» فالأمر خاص بالمنع عن الصلاة على المنافق وهي الآية ٨٤ من سورة التوبة ، فكيف يُقال أنّ النبي صلى الله وبارك عليه وآله أجاب عن ما خُيِّر فيه وهو الاستغفار وليس عن الذي مُنع منه وهو الصلاة على المنافقين؟ وما خُيِّر فيه النبي صلى الله وبارك عليه وآله هو الاستغفار للمنافقين في الآية ٨٠ من سورة التوبة وهي لا تتحدث عن الصلاة على المنافقين بل عن الاستغفار وسابقة لآية المنع عن الصلاة في (الآية ٨٤) . واعتراض عمر لم يكن على استغفار النبي للمنافقين بل على الصلاة!! فكيف يجيبه النبي صلى الله وبارك عليه وآله عن الاستغفار؟

نجد في هذا الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لم يقل إن ابن سلول كان منافقا ولا يوجد ذلك في أي حديث آخر ينسب للنبي صلى الله وبارك عليه وآله ، ولم يذكر حذيفة صاحب رسول الله الذي يعلم المنافقين ، والذي كان عمر يسأله عن المنافقين – لأن عمر لا يعلمهم – أنّ ابن سلول من المنافقين!! وما كان ليذيع سراً لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . وأن الذي قال إن عبد الله بن سلول منافق هو عمر بن الخطاب كما جاء في الحديث وكذلك قالت عائشة في أحاديث الإفك!!!

وحاول عمر أن يثني رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله عن الصلاة على ابن سلول ، ورفض الرسول صلى الله وبارك

عليه وآله اعتراض عمر حين أمسك بثوبه ، فجبذه منه ؛ ثم وقف عمر أمامه يقول له أتصلي عليه وقد قال كذا وكذا يوم كذا!! والنبي يبتسم ، ثم أمره النبي أن يتنحى عنه ليصلي عليه فقال عمر «إنه منافق» وصلى عليه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . ومن هنا جاء أن ابن سلول منافق ، أي من عمر الذي لا يعلم المنافقين !! ثم قالوا إنه رأس المنافقين ، ولم يقل ذلك النبي ولا حذيفة وهما وحدهما اللذان يعلمان المنافقين .

فنُسب النفاق لابن سلول ممن لا علم له بالمنافقين ، وأصروا على أنه منافق رغم أن النبي صلى عليه وكفنه بثوبه ووقف على قبره . فلم الإصرار على أنه منافق؟ هل ليبرر اعتراض عمر على النبي حيث ما كان ينبغي له –ولا لأي مسلم– أن يعترض على رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في أي فعل أو أمر؟ فقد قال تعالى ﴿ . . . **فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ** . . .﴾[1] أم ليقولوا إن موقف عمر في اعتراضه على النبي كان أصحّ من فعل النبي المعصوم؟ رغم أنه لم يكن يستند إلى علم اللهم إلا أن يقال أنه هو الأعلم من النبي بالقرآن وتنفيذه وبأداء الرسالة فيصمم ويقول لرسول الله الذي أُنزل عليه القرآن **«أتصلي عليه وقد نهاك الله»**!! كأنه يعظه من ارتكاب فعل نهى الله عنه!!! فالواجب على عمر طاعة رسول الله التي هي طاعة الله .

وإن كان عمر يستند إلى القرآن باعتبار أن آية المنع نزلت

(١) سورة الحج ، الآية : ٦٧ .

قبل الصلاة على ابن سلول – وهو ما يخالف ما يرمي إليه الحديث– فهو ليس الأعلم بالقرآن ممن أنزل عليه ليعترض على النبي بما نزل قبل ذلك من القرآن كأنّه هو الأعلم به منه!! وليس هو المفسّر للقرآن بحضرة النبي صلى الله وبارك عليه وآله . ولا يجوز له التعدي على النبي بالاعتراض وجذبه من ثوبه بدعوى معرفته للقرآن ومراد الله من الرسالة . .!!

وما أرى ذلك إلا هو الأذى بعينه – إن صح كل ذلك من عمر– فإذا قبلناه ، فذلك يعني إثبات خروج عمر عن طاعة الله ورسوله صلى الله وبارك عليه وآله فالله سبحانه يقول : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[1] كما أنّه لم يبق عندنا قدر ولا إيمان لنبينا صلى الله وبارك عليه وآله في معرفته بما جاء به من عند الله كما لعمر!! ولا يقول مسلم بذلك معتقداً صحته ونعوذ بالله أن نكون من الجاهلين . واعتقاد ذلك يعني أن صلاة النبي –كما يقولون– كانت محل المؤاخذة من الله ، الذي أرسله وتفضيل عمر عليه ، إذا كان ابن سلول حقاً منافقاً!! ويلاحظ في الحديث أن عمر قال **«أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه»** مما يدل على أن النهي عن الصلاة على المنافقين ، كان سابقاً لصلاة النبي على ابن سلول ولكلام عمر معه – كما جاء في الحديث– مما ينفي دعوى عمر أنّ المنع في القرآن نزل مؤيداً

(1) سورة آل عمران ، الآية : ٣٢ .

له بعد اعتراضه ، ويؤكد أن النبي صلى على ابن سلول بعد نزول آية منع الصلاة على المنافقين وليس قبلها . .!!

فأرادوا أن يثبتوا أولاً أن ابن سلول منافق – رغم انه لا يوجد نص بذلك ممن يعلم المنافقين – ثم ليقولوا بعد ذلك إن النبي صلى على منافق . وأن عمر – الذي لا يعلم المنافقين – اعترض على رسول الله في الصلاة عليه ، كأنّه هو المتيقن من معرفة المنافقين دون النبي ، ثم يقولوا أنّ الله بعد ذلك أيّد عمر بنزول الآية لموقفه القوي المعارض للرسول وبكيفية أداء الرسالة دون النبي ، ولعلمه الأكثر بالمنافقين ، وبما يجب أن يكون في التعامل معهم ، ويؤاخذ نبيه مدينة العلم الذي أوجب طاعته في أداء رسالته صلى الله وبارك عليه وآله . .!

بعد أن أثبت الله سبحانه في محكم تنزيله أن لا أحد له علم بالمنافقين غيره تعالى وذلك في قوله ﴿ . . . وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أخبر الله سبحانه بعد ذلك رسوله بهم وأمره بعدم الصلاة عليهم . فالعلم بهم لغير رسول الله محال وليس لأحد أن يتجرأ بتلك المعرفة إلا من يخبره رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ولم يخبر رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله إلا حذيفة وحده! وبما أنّ الصحبة لا تنفي النفاق لقول رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **«في أصحابي إثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»**[1] فلا يبقى شيء

(1) مسلم .

يجزم بنفي النفاق عن صحابي إلا صلاة النبي صلى الله وبارك عليه وآله أو صلاة حذيفة بعد انتقال النبي صلى الله وبارك عليه وآله .

يُلاحظ الاضطراب في هذا الحديث في قول عمر حين اعترض على رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله «**أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه** . . .» وهذا الكلام يدل على أنّ عمر يستند إلى آية المنع ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ** . . .﴾ . قال فصلى عليه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فأنزل الله ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ** . . .﴾؟!! أي أنّ عمر اعترض مستنداً إلى آية المنع ثم يقول أنّ آية المنع أُنزِلت بعد اعتراضه!!!

ويلاحظ في الحديث أيضاً أنّ الموضوع هو الصلاة على المنافقين ، حيث قال عمر «**أتصلي عليه وقد نهاك الله** . . .» . وينسب للنبي رده على ذلك بقوله «**إنما خيرني الله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة لن يغفر لهم . . . وسأزيده على السبعين**» . والأمر الإلهي هو ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ** . . .﴾[1] ولا تخيير في أمر الصلاة على المنافق ولكن التخيير في الاستغفار وموضوع الحديث هو الصلاة على المنافق ولا دخل للإستغفار بالموضوع .

والحق في قوله تعالى ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ**

(١) سورة التوبة ، الآية : ٨٤ .

أبداً . . .﴾[1] أحد أمرين ، إما أن يقال إنّ محمداً رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله خالف ربه صراحة وصلى على منافق على الرغم من هذه الآية ، وإما أن يكون ابن سلول ليس منافقاً . واتهام النبي بمخالفة الأمر الإلهي كفر . لأنّه يعني أنّه ليس مرسلاً وهذا قول الكافرين ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً** . . .﴾[2] إذن اتهام ابن سلول بالنفاق إنما القصد منه تحقير فعل النبي وإسناد الخطأ إليه بل مخالفته لأمر ربه وإضعافه في أداء الرسالة وأنّ عمر أدرى وأقوى منه في الحق وأنّ الله يؤيده ويعاتب رسوله لمخالفته!!! بمعنى أنّ عمر أجدر منه كما يقولون وأعرف بأداء الرسالة على الوجه الصحيح!! وأنّ النبي الذي اختاره الله لأداء رسالته ليس جديراً عندهم بالرسالة كجدارة عمر!!! كأن الله سبحانه لم يختار الأنسب لرسالته .

وقد نُسب إلى ابن سلول أنه هو الذي تولى كبر حادث الإفك . رغم انه لم يجلد في تلك الفتنة . ولم يقم عليه حد القذف كما أقيم على حسان بن ثابت ومسطح وحمنة ، من الذين خاضوا في حادث الإفك ، فكيف يكون هو الذي تولى كبره ولم يثبت عليه ما يقام به الحد؟

جاء في البخاري في حديث الإفك عن عائشة رضي الله

(١) سورة التوبة ، الآية : ٨٤ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٤٣ .

عنها أنها قالت « . . . فقام رسول الله فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول قالت فقال رسول الله وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج - وكانت أم حسان بن ثابت بنت عمه من فخذه - وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله قائم على المنبر . . .»[1] .

يلاحظ أولاً في هذا الحديث أن عائشة هي التي قالت أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله استعذر من ابن سلول ولم يقل النبي ذلك ، ولم تقل هي أن النبي قال ذلك فالحديث يبين أنّ المستعذر منه لم يسمّه النبي باسمه .

ثانياً ، الحديث يدل على أن النبي صلى الله وبارك عليه

(1) البخاري .

وآله ، قال هذا الكلام قبل أن يتثبت من البينة على المتهم وهو أمر يستحيل صدوره من النبي صلى الله وبارك عليه وآله . ولو كانت هناك بينة كافية ضد إبن سلول فإنّ النبي لن يتردد في إقامة الحد عليه ، وقد أقيم الحد على حسّان ومن معه بعد ثبوت البينة .

ثالثاً ، كيف يوكل صاحب الأمر والنهي رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله الحكم في قضية إلى المجتمع كله ليقتص من متهم نكرة بعد أن يثيرهم عليه في خطبة عامة؟ وكيف ينفذ الحكم؟ وما هو الحكم؟ الجلد أم القتل أم ماذا؟

رابعاً يلاحظ في قول سعد بن معاذ زعيم الأوس «إن كان من الأوس ضربت عنقه» بينما الجريمة ولو ثبتت وعرف من هو المتهم فعقوبتها الجلد لا ضرب العنق لأنها قذف!

يلاحظ في الحديث أيضاً أن عائشة ذكرت أنّ أم حسان بن ثابت هي بنت عم سعد بن عبادة زعيم الخزرج فأخذت الحميّة سعد بن عبادة فردّ على سعد بن معاذ!!! وهذا يدل -لو صح الحديث- على أنّ النبي استعذر من حسان بن ثابت وليس من عبد الله بن سلول ، لأنّ حسّان هو الذي جُلِد في حادث الإفك!

يلاحظ كذلك قول عائشة رضي الله عنها أنّ سعد بن عبادة كان رجلاً صالحاً فأخذته الحمية ورد على سعد بن معاذ بقوله «كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله» وهذا يدل على أنّ الحمية هنا خاصة بحسان بن ثابت بينما سعد بن

معاذ لم يقل أنه سيقتله إن كان من الخزرج بل قال لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله «**وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك**» .

فانظروا ماذا كان سيحصل من أثر لمثل هذه الخطبة المنسوبة للنبي صلى الله وبارك عليه وآله؟! القتل في جريمة قذف وينفذ الحكم من العامة لا من القاضي الحاكم ودون إثبات والمتهم لم يُعرَف بعد!!

أترى أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله كان يومها عاجزاً عن التقصي ومعرفة الحق وعن تنفيذ حكم الشرع في متهم ما أياً كان ذلك المتهم؟!!

خامساً ، كلام سعد بن معاذ يوضح أن المقصود رجل مجهول لا يعلم أهو من الأوس أم من الخزرج ولا يعرف اسمه فإن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لم يسم عبد الله بن أبي ولا غيره .

سادساً إقامة الحد على حسان بن ثابت ومسطح وحمنة ، يدل على أنه كان هناك تحرٍّ وسماع بينات وتنفيذ حكم لا دخل لعبد الله بن سلول فيه . فكيف يستقيم هذا الحديث وهذه الخطبة المنسوبة لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله المجهول فيها المتهم والحكم؟ ثم أنظر إلى صورة الصحابة في هذا الحديث وتعاملهم مع النبي واتهام بعضهم بعضاً بالنفاق وسوء العلاقة بينهم! أهكذا كانت صورة أحباب النبي وصحابته أمامه؟! إن الذين يريدون أن يؤخذ كل ما جاء في البخاري

فليراجعوا أنفسهم قبل أن يتهموا من يرفض ذلك .

وجاء في حديث آخر في البخاري « . . . **عن مسروق قال دخلنا على عائشة رضي الله عنها وعندها حسّان بن ثابت ينشدها شعراً يشبب بأبيات له . . . قال مسروق فقلت لها لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى : ﴿ . . . وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] . فقالت : وأي عذاب أشد من العمى** . . .»[2] وهذا يدل على أن حسّان هو الذي تولى كبر حادث الإفك ، وليس ابن سلول . إذن فمن الذي قال إن ابن سلول منافق أو هو رأس المنافقين؟؟ لم يقل ذلك رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ، لأنّه لا يفشي ما أسره ، ولم يقله حذيفة صاحب السر ولا يوجد غيرهما من يعرف المنافقين!!!

ولو افترضنا أن النهي عن الصلاة على المنافقين جاء بعد صلاة النبي صلى الله وبارك عليه وآله على ابن سلول ، وأن ابن سلول كان منهم كما زعموا فهل ذلك يبطل أثر صلاة النبي السابقة ويلغي مفعولها أم هو لما يقدُم من فعل مماثل؟ وهل يراد من المسلمين – كما هو حاصل الآن– أن لا يجعلوا قيمة لصلاة النبي على ابن سلول ، وتكفينه بثوبه وأن ما فعله النبي كان جهلاً وعبثاً لا قيمة له؟! أو أنه خالف ربه! وتظل نلعن من

(١) سورة النور ، الآية : ١١ .
(٢) البخاري .

صلى عليه النبي ودعا له بالمغفرة في الصلاة!! أم أنه – كما يظن البعض – كان يظهر الصلاة عليه ترحماً بالخير ويدعو عليه بالشر سراً . . ، وهذا خلق لا يوصف به أدنى مسلم له صدق مع الله وإخلاص في القول والعمل ؛ ناهيك عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، الذي بعث ليتمم صالح الأخلاق . ولا أدري ماذا يكون رد مسلم إذا قيل له إنّ النبي صلى على ابن سلول ودعا له بالمغفرة فهلا فعلت اتباعاً للنبي؟ هل سيفعل أم يستنكف ليثبت اتهامه للنبي صلى الله وبارك عليه وآله؟

ثم إنه لا يوجد ما يجعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله يفعل أمراً في الدين لا يريده ، ولا يريده الله الذي أرسله بالحق ، وجعله الأسوة الحسنة في الصدق والإخلاص والقوة في الجهر بالحق وعدم المجاملة فيه . ويوضح ذلك أنه لم يتردد في منع عمر نفسه عن إمامة المسلمين حينما سمعه يوم الناس في صلاة المغرب وقال «يأبى الله ذلك والمسلمون»[1] . ولا يعتقد مسلم أن في عمر قوة في الحق أكثر من النبي اللهم إلا أن يكون رسوله عمر!!

من يقول إنّ عمر أقوى من النبي في إظهار الحق والجهر به ، فقد حط في نفسه من قدر النبي الأسوة الحسنة ورفع من قدر عمر فوقه ، وجعل عمر هو الأسوة الحسنة عنده في الحق!!!

---

(١) سنن أبي داود .

إلاّ من ينتقص من القدر المحمدي الشريف ليس مسلماً ، وأهل هذا المعتقد الفاسد ، هم الذين ينظرون إلى القائم عليه السلام نظرة المخالف لأهل السنة ، وهم الأكثرية التي سوف يقاتله على نهجه في إحياء السنة وتصحيح العقيدة ، وتوضيح قدر رسول الله العظيم صلى الله وبارك عليه وآله ، الذي لا يدانيه أحدٌ من أمته عمرٌ كان أو غيره !!! ويكشف الله به عن بصيرة قوم كانت أعينهم في غطاء عن لوم الأمة للنبي أربعة عشر قرناً من الزمان .

وقد يكون قصدهم من عدم تخطئة عمر ورفع قدره هو تبرئة صاحب رسول الله من مخالفته لله سبحانه . لأنّ ذلك يخرجه من الصحبة بل من طاعة الله ، لأن طاعة النبي هي طاعة الله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[1] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فكيف يكون الخليفة الثاني قد وصم بعدم طاعة الله ورسوله في حياة النبي ويستحيل عندهم رفض حديث البخاري؟ ولمحافظتهم على كل ما جاء في البخاري يقبل الحديث الذي يصف عمر بالمخالفة ثم تبرر المخالفة!!! ولذلك قالوا يجب أن تكون كل أفعال الخليفة الثاني عندهم صحيحة ممتازة ، كما ذكرها البخاري ولو عارض فيها النبي صلى الله وبارك عليه وآله!! ولكي لا يكون موصوما بعدم طاعة

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

الله ، يقولون إن القرآن من عند الله جاء مؤيداً له حتى لا تكون عدم طاعته لرسول الله هي عدم طاعته لله !! ﴿ ... وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِه ... ﴾[1] ويفصلون طاعة رسول الله عن طاعة الله!!! إنهم حقيقة يقولون إن طاعة الله ممكنة رغم معصية رسول الله ولا يشترط لطاعة الله طاعة رسول الله ، رغم إثبات الله لها ﴿ ... وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ... ﴾ أي نطيع الله ولا نطيع رسوله ﴿ ... وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾[2] وما ذلك إلا خوفا من أن يكون في الإسلام - خاصة ممن عاصروا النبي صلى الله وبارك عليه وآله - أصحاب يخطئون . يريدون أن يُخرجوا صورة ملائكية وعصمة للمسلمين الأوائل كما ذكر البخاري ولو احتاج ذلك للَيِّ عنق الحقيقة وتخطئة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . لأنهم يريدون أن يكون رجال الإسلام خاصة صحابة النبي صلى الله وبارك عليه وآله جميعهم كما ذكر البخاري معصومين لا يخطؤون - ولو عارض أحدهم النبي نفسه فإنه يكون محقاً والنبي هو المخطئ - ولا ينافقون ، وكلهم عدول رغم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله يقول في صحيح مسلم «**في أصحابي إثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط**» وقال الله تعالى ﴿يا

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ .

أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ﴾[1] وهم كفار اليهود وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾[2] . و قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ... ﴾[3] . كل ذلك لأولئك النفر من الذين ما كانوا يعرفون قدر النبي وتوقيره حتى يزجرهم الله بمراعاة الأدب معه وعدم رفع الصوت فوق صوته بل حتى لا يتكلمون معه بصوت جهوري ولا باسمه مجرداً كما يدعون بعضهم بعضاً . فكم تركوه صلى الله وبارك عليه وآله قائماً في المحراب للصلاة وخرجوا من المسجد لأجل اللهو لسماع الجواري المغنّيات أو ليتسابقوا على شراء الزيت القادم من الشام ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ... ﴾[4] .

ورغم أن القرآن كان يتنزّل في وجودهم ويعلمون أنّ أزواج النبي أمهاتهم فتجد بين الذين كانوا يدخلون على بيوت النبي من الصحابة من بلغ من الإنحطاط وسوء الخلق أنّه كان يطمع

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٦٩ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ٢ .

(٣) سورة المجادلة ، الآية : ٩ .

(٤) سورة الجمعة ، الآية : ١١ .

في نساء النبي . وأثبت الله سبحانه وتعالى ذلك في محكم تنزيله -ولم يكن إبن سلول من الذين يدخلون على بيوت النبي- قال تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ . . .﴾(١) فمنعهم الله سبحانه من الدخول على بيوت النبي حتى يؤذن لهم لأنّهم كانوا يطمعون في نساء النبي وذلك كان يؤذي النبي! ونجد منهم من نُسب إليه إيذاء النبي بما لا يليق بمسلم عادي فيقول - وهو الذي قالوا إنه مبشر بالجنة - لئن مات محمدٌ لأنكحن عائشة من بعده(٢)!!! وقال في رواية أخرى «أيحدينا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا؟ لئن حدث به حدث لننكحن نساءه من بعده»(٣) . انظروا إلى هذا المبشر بالجنة - إن صح ما يقولون - وهو يقول «محمد» مجردا بدون الصلاة عليه ، وينتظر موته لينكح أزواجه من بعده!! وهذا القائل - لأنّه من أصحاب محمد صلى الله وبارك عليه وآله - يريدون أن يخرجوه من هذه الصورة البشعة التي لا يجرؤ مسلم على قولها ولا كافر فيجعلونه من المبشرين بالجنة!!! ولا يعتبرون بقول الله تعالى ولا يلتفتون إلى إذية رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٢ .

(٢) الحاوي للفتاوي لجلال الدين السيوطي .

(٣) ابن أبي حاتم .

أترى لأنه يتمنى موت النبي وينتظر ذلك بفارغ الصبر لينكح أزواجه من بعده ولذلك وجبت له الجنة . .! ألأنه بهذا القول النتن الشنيع - الذي لا يمكن صدوره من أحد صعاليك المدينة وسفهائها - آذى رسول الله وآذى كل أمة محمد فوجبت له الجنة؟!! ورغم أن الله تعالى أنزل فيه ﴿ . . . وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾(١) يجعلونه مبشراً بالجنة؟ فما بقي لأهل هذا المعتقد إلا ليقولوا لكل من يؤذي رسول الله هنيئاً لك أيها المبشّر بالجنة ويقولوا إنّ من يعارض رسول الله يمكن أن يُنزّل الله قرآناً يؤيده ويؤاخذ نبيه المعصوم ورسوله مدينة العلوم وأفضل خلقه من رسله وأنبيائه وملائكته الذي يصلي عليه الحي القيوم .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٣ .

(٣)

الاتهام بالقرين الشيطان

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[١] . وقال تعالى ﴿ . . . وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾[٢] .

فالشيطان القرين موكل بمن يعش عن ذكر الرحمن ، ذلك الذي يتخذ الدنيا مقصداً وغايةً لذاتها وزخرفها ، لا الكيّس الذي دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، وجعل الآخرة الباقية نصب عينيه عوضاً عن الدنيا الفانية . . ذلك الذي قام ليله لربه ، وصام نهاره لقُربه ، وهام بحبه ، وكان من الذين ﴿تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ . . .﴾[٣] فكان ممن قال الله فيهم ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٤] الذين مدحهم ربهم بكريم صفاتهم في محكم تنزيله . . الذين ملأت تقوى الله قلوبهم

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٣٨ .

(٣) سورة السجدة ، الآية : ٢٦ .

(٤) سورة الفرقان ، الآية : ٦٣ .

فالتزموا القرب من أولياء الله الصادقين ، التزاما بأمر الله تعالى لهم ، فهو ربهم الذي يربيهم حيث قال تعالى : ﴿ . . . اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[1] الصادقون أهل المعية مع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . . . فإيمانهم بربهم واجتهادهم في مرضاته بقيام ليلهم وصيام نهارهم واجتناب نواهيه والسعي فيما يرضيه والفرار إليه التزاما بقوله تعالى ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ . . . ﴾[2] كساهم صفة العبودية لربهم ، وخلع عليهم صفة التقوى ، فهم عباده المؤمنون وهم المتقون . . . وبإيمانهم بالله وتقواهم هذه يتأهلون ليكونوا مع الصادقين أهل الإيمان برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . أهل المقام الأسنى ، والقرب الأدنى ، في الحس والمعنى ، الذين آمنوا بالرسول صلى الله وبارك عليه وآله ﴿ . . . وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ . . . ﴾[3] .

فأهل الإيمان بالله إذا كسوه بالتقوى فهم أقرب الناس إلى الإيمان برسول الله ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ . . . ﴾[4] ليكونوا خواصّ عباد الله ، أحباب النبي الذين قال فيهم : «وددت أني لقيت إخواني قالوا :ألسنا إخوانك؟

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٩ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٨٦ .

(٤) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

قال : أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»[1] وإلى هؤلاء . . أهل الإيمان بالله وأهل القلوب المليئة بالتقوى يتوجّه الخطاب الإلهي يحثّهم إلى مقام الصادقين أهل الإيمان برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ، أحباب النبي صلى الله وبارك عليه وآله أهل المقام الأسنى الذين ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ . . . ﴾[2] وهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . قال الله جلّ شأنه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[3] .

فهؤلاء ليس للشيطان القرين إليهم من سبيل لأنهم عباد الله الخاصين المخلصين قال تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ . . . ﴾[4] . فهم أهل الاختصاص قال جلّ شأنه ﴿ . . . يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[5] فإنّ الذين آمنوا بالله واتقوا وآمنوا برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فقد عصمهم الله من الشيطان القرين بنصّ القرآن قال جل شأنه

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٣ .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

(٤) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٠٥ .

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[1] وقد يبلغ المرء من هؤلاء في سموّه الروحي إلى أن يصير الحقُّ سمعه وبصره ويده ورجله فينطق الحق بلسانه «سبحاني ما أعظم شأني» كما نُقل عن البسطامي رضي الله عنه ، وهي مقولة لم ينكرها ابن قيم الجوزية ولا ابن تيمية الحرّاني الذي يراه البعض ويتخذه إماماً معارضاً لأهل السلوك الربّاني والمعارف الإلهية .

وإذا كانت هذه الطوائف اتفقت على السمو الروحي لهؤلاء القوم وسلامتهم من الشيطان القرين فكيف يجرؤون على القول بأنّ رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله الذي اصطفاه الله من بينهم وأرسله إليهم ليعلمهم الكتاب والحكمة فعلمهم السلوك إلى الله ، والتقرب إليه به ، كيف يقولون إنّ له شيطان قرين لكنه أسلم ، فلا يأمره إلا بخير!!! ألأنه جاء في صحيح مسلم ويجب علينا الأخذ بكل ما جاء فيه؟ وأنه يحرم علينا رفضه وإن كان فيه ما ينتقص من القدر الشريف؟ بحجة أنه أصح الكتب بعد كتاب الله - كما ادعوا بغير دليل - وإذا رفضناه فقد هدمنا السنّة؟!!!

ألا يرى هؤلاء أننا إذا قبلناه هدمنا عقيدتنا وديننا كله؟!! بل نكون قد جعلنا مقام النبي صلى الله وبارك عليه وآله أقل

(1) سورة النحل ، الآيات : ٩٩ ، ١٠٠ .

من مقام أحد المشايخ! كيف بك أيها المسلم إذا قيل لك أن شيوخاً عارفين مثل عبد القادر الجيلاني والرفاعي والبدوي والشاذلي والتجاني رضي الله عنهم كان لكل واحد منهم شيطان قرين كافر؟!! لأنه في الحديث لم يُسلم إلا الشيطان القرين الخاص بالنبي صلى الله وبارك عليه وآله!!! غفرانك اللهم من ذكر هذا القول وإن كان ذكرنا له بقصد إظهار بشاعته لدحضه وإنك تعلم النوايا وما تخفي الصدور . . . ولا حول ولا قوة إلا بك . . . ماذا يبقى من الدين للذي يقول إن للنبي شيطاناً مسلماً يأمره!!! بل يتحتم على صاحب هذا المعتقد أن يقول إن لكل من أبي بكر وعمر شيطاناً قريناً كافراً ولا يأمر بخير لأنّ القرين الذي يأمر بالخير هو الخاص بالنبي - كما قالوا - والأعجب من ذلك من يعتقد في هذا الحديث ويعتقد كذلك في الأحاديث التي تفضل عمر على النبي بتأييد الله لعمر دون النبي حين يختلفان كما ذكروا في أسرى بدر أي أنّ الله يفضل الذي له شيطان قرين كافر ولا يأمره بخير!!!

قد يقول قائل ليس بالضرورة أن يكون لكلٍّ من أبي بكر وعمر شيطان كافر إذ لا يوجد ما يمنع أنه أسلم وهذا القول يقابله أنه لا يوجد ما يثبت أنه أسلم فعلى أفضل الأحوال الأمر شكٌ في إسلام شيطانيهما ، أما شيطان عائشة فالنص يؤكد أنه لم يسلم فلها شيطان قرين كافر يختلف عن قرين رسول الله ، وإلا لما كان هناك مجال عتابٍ لها بشيطانها إذا لم يكن يختلف عن شيطان المُعاتب ولا حول ولا قوة إلا بالله!!!

وقد نسبوا لأبي بكر أنه قال «إن لي شيطاناً يحضرني»[١] .

وكيف يتفق هذا الحديث مع قول الله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ . . .﴾[٢] وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٣] وقوله تعالى في إقرار الشيطان بذلك ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٤] وهذه الآيات خاصة بالذين أرسل إليهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليبلغهم ذلك فهل يكون هو عند الله أقل مقاماً عن الذين أرسل إليهم ليكون له شيطان أعانه الله عليه حتى يسلم؟!!

فقد جاء في صحيح مسلم «حدثني هرون بن سعد الايلي حدثنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط حدثه أن عروة حدثه أن عائشة زوج النبي صلى الله وبارك عليه وآله خرج من عندها ليلاً قالت فغرتُ عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال : «مالك يا عائشة أغرت؟ «فقلت ومالي لا يغار مثلي على مثلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أقد جاءك شيطانك»؟ قلت يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال : «نعم» قلت ومع كل إنسان؟ قال «نعم» قلت ومعك يا

(١) مجمع الزوائد للهيثمي .
(٢) سورة الحجر، الآية : ٤٢ .
(٣) سورة النحل، الآية : ٩٩ .
(٤) سورة الحجر، الآية : ٤٠ .

رسول الله؟ قال «نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم» .

وفي حديث آخر» . . . عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال : «وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»[١] .

وفي مسند أحمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله قال : قال لنا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله «لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم» قلنا : ومنك يا رسول الله؟ قال : «ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم» .

معلوم أن الشيطان كافر بنص القران ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا . . .﴾[٢] أما الجن فقد قال الله تعالى فيهم ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾[٣] وقال : ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾[٤] فالكافر من الجن هو الشيطان القرين . وعلى مُعتقد هذا الحديث أن يقر بأن لكل من أبي بكر وعمر وعائشة وكل صحابة النبي رضي الله عنهم

(١) مسلم .
(٢) سورة البقرة، الآية : ١٠٢ .
(٣) سورة الجن، الآية : ١١ .
(٤) سورة الجن، الآية : ١٤ .

لكل واحد منهم شيطان قرين كافر ولا يأمره بخير!!! وأنه يعتقد ويجزم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله يتلقى الأمر لفعل الخير من شيطان أسلم أو من الله تعالى!!!! وأننا قد نتلقى الخير في سنة النبي التي شرعها لنا من شيطان مسلم يأمره بها!!!!!

فأي رسالة يُراد إيصالها للناس بهذا الحديث؟ أليزدادوا ثقة في صحة الرسالة المحمدية؟ أهذا هو الدين الذي يراد منا اعتقاده؟ أهكذا تكون عقيدتنا في رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله؟ والسؤال هو ماذا تخدم هذه الأحاديث في نشر رسالة النبي صلى الله وبارك عليه وآله؟ وهي الأحاديث التي من يحفظونها يقال إنّهم من العلماء!! وترعد بها أصواتهم على منابر المساجد حيث يخطب الإمام ولا يجرؤ أحد على مقاطعته فتُردد على الناس حتى تُصبح مقبولة عندهم بل تُصبح نوعاً من زيادة العِلم عندهم!!

ولو كان الشيطان أسلم فإن الدخول في الإسلام لا يكون إلا بنطق الشهادتين فكيف بالشيطان الذي أسلم برسول الله وشهد أن محمداً رسول الله ليدخل في الإسلام كيف يتسلط على وسيلته للدخول في الإسلام ليأمره بفعل الخير؟! وأي نوع من الخير؟ وهل القرآن داخل في هذا الخير؟!! أي هل يكون القرآن من أمر الشيطان الذي أسلم؟ غفرانك اللهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وماذا كان قبل أن يسلم؟ ومتى أسلم؟ وكونه أسلم يعني أن ذلك تم بعد أن تم تعريف الإسلام أي بعد أن عرف ما هو الإسلام وذلك يعني بعد البعثة وذلك

يعني أن البعثة تمت وللنبي شيطان كافر قرين!!! هل تدل هذه الأحاديث على عظمة الرسالة المحمدية وعلى عظمة من جاءت على يديه؟ وماذا يريد المستهزئ أكثر من هذا ليرسم صورة رجل يرافقه شيطان ويقول هذا رسول المسلمين!!! اللهم إنا نبرأ إليك من هذا المعتقد وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الهالكين فإنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة وصلي اللهم وبارك وشرّف وكرّم على أفضل خلقك وأحبهم إليك الذي صليت عليه أزلاً قبل خلق أبينا آدم واتخذته نبياً قبل بث الروح فيه وعلى آله الأطهار صلاةً لا تدع لنا بها ذنباً إلا غفرته وتزيدنا بها حباً في حبيبك وتاج كمالاتك ونور كونك ومركز تجلياتك وبارك كما يليق بعظمته وكما تحب أن يصلى عليه . .

(٤)

الاتهام بحبِّ زوجة زيد

قال تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[1].

ظنَّ بعض المفسرين ممن منعهم العُجب عن إظهار حسن الأدب، وقصرت بهم دعوى العلم عن بلوغ الأرب، وأعمى بصائرهم عدم الحب عن رؤية عظمة من حاز كل العلم وما كتب، ظنّوا أنهم فهموا كلام الله عن سيد العجم والعرب. فخاضوا في شرح سقيم الفكر، وقدّموا للمسلمين في تفاسيرهم موائد الداءَ والضرر، لعدم معرفتهم قدر من في حقه أنزلت السور، وانحصارهم في أفق أنفسهم المليئة بالكدر، فتكلموا عنه كالتكلم عن سائر البشر، فانحرفوا بذلك عن مقصود الحق في العبر.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

وقالوا إن صاحب الخُلق العظيم تاقت نفسه لزوجة زيد وأخفى ذلك خشية أن يطّلع عليه الناس فقال لزيد «أمسك عليك زوجك»[١] . وصادف ذلك عند بعض الناس هوى ، لجنوح النفوس وميلها إلى السوى ، فكان لا بدّ لهذا من الدواء ، ومحاولة معالجة ما خامر النفوس من هذا الداء . فقد جاء في تفسير القرطبي : «**واختلف الناس في تأويل هذه الآية فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم الطبري وغيره إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان حريصاً على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو ثم إن زيدا لما أخبره بأنه يريد فراقها ويشكو منها غلظة قول وعصيان أمر وأذى باللسان وتعظماً بالشرف قال له اتق الله أي فيما تقول عنها وأمسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف . وقيل تخاف وتكره لائمة المسلمين لو قلت طلقها ويقولون أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها**» .

لا يوجد أسوأ مما قالوا في حق رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بادعائهم معرفة ما في نفسه بهذه الصورة : «**وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان حريصاً على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو**» ويردّدون القول مرّة

(١) البخاري .

أخرى دون حياء وشيء من خُلق : «**وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه**» . فهل يوجد إدعاء بعلم الغيب وما تُخفي الصدور أكبر من هذا؟!! وهل توجد تهمة بسوء الخُلق أكبر من هذه؟ وفي حق رسول الله؟؟!

أقول : لم يذكر لنا الله سبحانه أنه وقع من النبي صلى الله وبارك عليه وآله استحسان لامرأة في عصمة زوجها وكان حريصاً على طلاقها منه ليتزوجها فمن أين جاءوا بهذه الفرية؟ وكيف تمت دعوى الألوهية والفرعونية من هؤلاء المفسرين في معرفتهم ما في قلب رسول الله وكيف قبلها المسلمون؟ إنّه إدعاء بمعرفة ما في قلب رسول الله ليسيؤوا إلى أنفسهم بما ينسبونه إليه!! إنّ كل ما أبداه الله سبحانه وتعالى هو زواجه منها فلم يُخفِ صلى الله وبارك عليه وآله عن زيد غير علمه بأنها إحدى زوجاته اللاتي كتب الله له . وهذا هو ما أبداه الله : ﴿ . . . فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا . . . ﴾[١] ولكن المفسرين ادّعوا معرفة الغيب الذي في قلب رسول الله والذي لا يعلمه إلا الله ورسوله . ثم اتهموه - بادعائهم علم الغيب ومعرفة ما في نفسه - بفساد السريرة وإظهار غير ما يبطن ، فأساءوا الأدب مع الله ومع رسول الله بهذا الإدعاء الفاسد!! ولا يوجد ادّعاء للألوهية والفرعونية أكثر من هذا ، إذ

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٧ .

لا يعلم ما في نفس الرسول صلى الله وبارك عليه وآله إلا الله سبحانه وتعالى . قال تعالى ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ . . .﴾[1] . والمتفحّص فيما قالوا لا يجد أسوأ ما يمكن أن يوصَف به رجُلٌ شريف يتّقي الله ، فكيف سوّلت لهم أنفسهم أمراً كهذا في حقّ أشرف الخلق؟!

فبالله أقول إنّ الله تبارك وتعالى قد جعل في هذه الآية لنبيه من علو القدر وعظم الجاه ، نعماً خاصة به بجانب نعم الله تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ . . .﴾ ولا عجب فقد جعل الله له كذلك فضلاً يغني به كما لله تعالى فضلاً يُغني به!! قال تعالى ﴿ . . . وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ . . .﴾[2] . وقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾[3] . بل جعل الله طاعته طاعته وبيعته بيعته في قوله تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[4] وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ . . .﴾[5] .

(١) سورة الإسراء الآية ٢٥ .
(٢) سورة التوبة ، الآية : ٧٤ .
(٣) سورة التوبة ، الآية : ٥٩ .
(٤) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .
(٥) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

فكيف بصاحب هذا المقام العلي الأسنى الذي مدحه الله بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ، كيف به أن تتوق نفسه إلى امرأة في عصمة زوجها؟! ويُخفي ذلك لأنه يخشى أن يطّلع عليه الناس؟؟ وما يُخشى اطّلاع الناس عليه فهو من المساوئ . . ، فما هذا الذي أخفاه الرسول صلى الله وبارك عليه وآله في نفسه – كما يقولون – من المساوئ وأبداه الله؟ هل أعلمنا الله أن محمداً صلى الله وبارك عليه وآله كان يحبّ زينب وهي في عصمة زوجها زيد؟ ويُخفي ذلك بقوله ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾! وأنّ الله فضحه بأن أبدى للناس ذلك الذي أخفاه؟؟ كيف طابت نفوس هؤلاء المفسرين بأن يقولوا مثل هذا القول؟ وهو خُلق يترفع عنه من كان يرجو المحافظة على دينه ، ناهيك عن من شرع الدين للناس وهو قدوتهم في السلوك في الظاهر والباطن ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2] ومدحه الله بعظيم خُلقه!! سيد ولد آدم من بيده لواء الحمد والنبيون آدم ومن دونه تحت لوائه؟ ﴿ . . . وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ . . .﴾ ما هذه الخشية؟ قال علي عليه السلام «كنا إذا اشتد الوطيس نستتر برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله» . فأي خشية هذه؟ أهي أن يطّلع الناس على

(١) سورة القلم ، الآية : ٤ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

أنه يتوق لزينب وهي في عصمة زيد؟؟ أهكذا يفسّر القرآن في حق صاحب الخُلق العظيم؟؟ وماذا أبدى الله غير زواجه منها؟

أقول وبالله التوفيق إن هذه الآية نزلت في مدح رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . ففي بدايتها جعل الله لرسوله صلى الله وبارك عليه وآله نعماً كما لله نعم كما ذكرنا آنفاً ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ . . .﴾ وأن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لما بلغ من الخُلق العظيم أمر زيداً بأن يمسك عليه زوجه حينما أراد أن يطلقها ، رغم أنه كان يعلم أن زينب من زوجاته اللاتي كتب الله له . فأخفى علمه هذا عن زيد ﴿ . . . وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ . . .﴾ أقول أخفى علمه بأنها من زوجاته المكتوبة له ، وهو الذي أبداه الله ﴿ . . . فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا . . .﴾ ، لا شعوره بحبّه لها كما فسره المخطئون الذين انحصرت نفوسهم في ملاذ الدنيا والشهوات ، فلم يرتقوا إلى فهم علو القصد المحمدي الرفيع الذي طغت أخلاقه على إظهار علمه لزيد ، خشية أن يتأذى زيد لو أخبره بذلك العلم لأنّ زينب كانت زوجة زيد حينذاك . وهذا معنى قوله تعالى ﴿ . . . وَتَخْشَى النَّاسَ . . .﴾ . أي تخشى أن يسمع الناس منك ما يؤذيهم ولو كان علماً حقاً . فلم تفهم النفوس المريضة والعقول الضعيفة ولم ترتق إلى علو معرفة عظمة تلك الأخلاق فانحطت إلى ترجمتها في محيط محبة النساء ولم يجدوا لهم دليلاً على ذلك فاختلقوا بادعائهم بمعرفة ما في قلب النبي ليقولوا فُحش

قولهم واتهامهم!!! ﴿ . . . وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ . . .﴾ بإظهار علمك الذي أطلعك الله عليه «بُعثت معلّماً»[1] ليعلم زيد وغيره من الناس أن زينب هذه ممن كتب الله لك من الأزواج ، رغم أنها كانت في عصمته . قال تعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ . . .﴾[2] . ولكن خُلقك العظيم صبّغ علمك يا مدينة العلم صلى الله وبارك عليك وعلى آلك! ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[3] والأخلاق هي التي كانت من أجلها البعثة المحمدية فلا يوجد في النهج المحمدي والسلوك إلا قمة الأخلاق في كل أوجه الحياة ومن يرى غير ذلك نسأل الله له الهداية . وتصرف النبي صلى الله وبارك عليه وآله مع زيد كان قمة في عظمة الأخلاق التي قصرت دونها الأفهام . والعلم من الصفات الإلهية ، والأخلاق من الصفات البشرية . فكسوت علمك أخلاقاً ودثّرت الجلال بالجمال ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[4] . والحق جلال لا يطاق . . «لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره»[5] .

---

(1) ابن ماجة والدارمي .

(2) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٢ .

(3) سورة البقرة ، الآية : ١٣٨ .

(4) سورة المدثر ، الآية : ١ .

(5) مسلم .

ولكنك برزخ الحق والخلق، والجلال والجمال، وما أبديت للخلق منك إلا الجمال. فأحبّك الكل الحق والخلق. فصرت للحب أساساً، وللطف والرأفة والرحمة نبراساً، ولستر الناس في الدنيا والآخرة بالشفاعة لباساً. وكنت لهم بنعمتك عليهم من خزي الذنوب مبدلاً لتعسهم، وخالعاً جذور بؤسهم ويأسهم، لأنك كما قال تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾[١]. لحرصك على مظهر نقائهم وطُهرهم، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢] صلى الله وبارك عليك وعلى آلك وعلى من يصلي عليك.

وفي آية ﴿... وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ...﴾ دليل على عدم لبس المرأة للنقاب كما يُشير إليه أيضاً قوله تعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...﴾[٣] إذ لو كان الوجه مغطّى كله بالنقاب فليس هناك ما يُغض البصر عنه وهذا يدل على أنّه لا يوجد تشريع يوجب على المرأة تغطية وجهها وإلا لكان لا ضرورة لآية غض البصر. ولكان تغطية وجهها في العبادات أولى خاصة في الطواف.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٥)
الاتهام بالعبوس في وجه أعمى

صدرت الإرادة الإلهية -لا مسبوقة بزمن- في أكمل إبداعاتها بإبراز تاجها الأجلّ الأعظم من حيث الخَلق والخُلق، عن علم إلهي، هو مطلب الحياة الأزلية. فأشرقت القدرة في الوجود بإظهار حبيب الأزل محمد بن عبد الله، وصلى عليه الله وملائكته قبل بروزه في عالم الحسّ قبل الزمن! وما الزمن إلا الليل والنهار الناتج عن حركة الفلك الكبرى التي ليست هي عين الزمن ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[١] فأحبه وأكرمه وصلى عليه وأعطاه حتى أرضاه، ومدحه بكلامه الأزلي القديم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢] فخلا طبعه الذي فطر عليه عن الغلظة التي تنتفي وجوباً لتضادها وجود المدح الإلهي له.

ويؤكد الحق سبحانه ذلك - خلو طبعه عن الغلظة- في قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا

---

(١) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾[1] وكان إذا برزت حاجة إلى الغلظة لموقف من المواقف جاءه أمر إلهي بها ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾[2]. والجهاد هنا لا يعني القتال لأن المنافقين يُظهرون الإسلام.

قيل إنّه جاء رجل أعمى إلى من جبل على عدم الغلظة، الممدوح من قبل خالقه العظيم بعظيم الخُلق، ليسأله عما بعث به، وهو مكارم الأخلاق. فقد قال صلى الله وبارك عليه وآله «إنّما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[3] «وكان عنده صلى الله وبارك عليه وآله أحد الكفرة - قيل هو أُبي بن خلف وقيل عتبة بن ربيعة- يريد النبي صلى الله وبارك عليه وآله له أن يتزكى بالإسلام، ويخرج عن ظلمات الشرك، فلم يكن منه صلى الله وبارك عليه وآله إلا أن مال بكليته إلى ذلك الأعمى الذي جاء يسعى إليه في خشية من الله. وهذه هي مكارم الأخلاق التي بُعث بها صلى الله وبارك عليه وآله ليتممّها والتي تنسجم مع ما مدحه به الله سبحانه من الخُلق العظيم، ويستحيل أن يصدر عنه غير ذلك في تبليغ رسالته، وحاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أن يعبس في وجه أعمى لا يرى، أو ينشغل عنه بتصدّيه لكافر لم يسلم بعد، كلا ثم

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٣.
(٣) الجامع الصغير للسيوطي.

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾[1]. فما على الرسول إلا البلاغ وليس الحرص على هداية من يبلّغه. قال تعالى ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ...﴾[2] فغضب ذلك الكافر وعبس في وجه النبي صلى الله وبارك عليه وآله وتولّى، كما عبس وأدبر قبله أخوهُ في الكفر الذي قال الله فيه ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾[3] - إذ العبوس والإدبار صفة من صفات الكفار- وقام لعنه الله من مجلسه وتولى وأدبر مستغنياً عن هذا الذي يفضّل الأعمى عليه. والنبي صلى الله وبارك عليه وآله كان يتصدى له لإخراجه من ظلمة الشرك وتزكيته بنور الإسلام، وما كان الله تعالى وهو حبيب محمد صلى الله وبارك عليه وآله ليترك التصرف من ذلك الكافر في وجه حبيبه دون تقريع ولا إدانة فقال تعالى فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[4] ذلك الكافر حين مجيء الأعمى إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله، ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾[5] ويتوجه الخطاب الإلهي إلى ذلك الكافر مباشرة مبيناً له جهله وأنّ هذا الأعمى يرجى له أن يتزكى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ

(١) سورة عبس، الآية: ١١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٧.
(٣) سورة المدثر، الآيات: ٢٢، ٢٣.
(٤) سورة عبس، الآية: ١.
(٥) سورة عبس، الآية: ٢.

يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾[1] ثم يتوجه الخطاب الإلهي إلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله مؤنساً ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾[2] ما أعظم أخلاقك وأوسع حلمك الذي يجعلك تتصدى حتى لمن استغنى ، إشفاقاً عليه ، وما ذلك إلا لأنك الرحمة المهداة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[3] . ولم يقل للمسلمين فقط . . ! وذلك يعني شمول الرحمة للكفار والجنّ وغيرهم . صلى الله عليك يا رحمة الله الواسعة ، فلا تشغل نفسك ولا تهتم بتوليه عنك واستغنائه ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى ﴾[4] إذ ليس عليك إلا البلاغ ، ولا تكلّف نفسك أكثر من ذلك ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[5] ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[6] ﴿ . . . فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ . . . ﴾[7] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ

(1) سورة عبس ، الآيات : ٣ ، ٤ .
(2) سورة عبس ، الآيات : ٥ ، ٦ .
(3) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .
(4) سورة عبس ، الآية : ٧ .
(5) سورة طه ، الآية : ٢ .
(6) سورة الكهف ، الآية : ٦ .
(7) سورة فاطر ، الآية : ٨ .

الْبَلَاغُ . . . ﴾[1] . ثم يمدح الله نبيه صلى الله وبارك عليه وآله باهتمامه وعدم تلهّيه عمن جاءه يسعى . فتصرفه صلى الله وبارك عليه وآله كان عكس ما فعل الكافر . فالكافر ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ وأدبر عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله الذي هو أعظم خلق الله وأجلهم وأشرفهم أما النبي فقد أقبل على الفقير الأعمى ولم يتله عنه ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا . . . ﴾[2] فليس ذلك من طبعك الذي جبلت عليه صلى الله عليك وعلى آلك ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾[3] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾[4] .

فانظروا الآن ما جاء في تفسير الطبري مما يخالف ما قدمناه هنا ، وهذا نموذج من مئات التفاسير التي اتفقت على عبوس الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله في وجه الأعمى ، بل تجد في التفاسير المترجمة باللغات الأخرى ما يعزز ما ذهبوا إليه من الإساءة الى الرسول العظيم جهلا بالتفسير أو تجاهلا : « أقبل ابن أم مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى ، وقد قوي

(1) سورة المائدة ، الآية : ٩٩ .
(2) سورة عبس ، الآيات ٨-١١ .
(3) سورة عبس ، الآيات : ١١ ، ١٢ .
(4) سورة المائدة ، الآية : ٩٩ .

طمعه في إسلامهم وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم ، فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال : يا رسول الله علمني مما علمك الله ، وجعل يناديه ويكثر النداء ، ولا يدري أنه مشتغل بغيره ، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه ، وقال في نفسه : **يقول هؤلاء : إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد ؛ فعبس وأعرض عنه ، فنزلت الآية»** .

إنّ العبوس من صفات الكفار كما قال تعالى في وصف كافر ﴿**ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ**﴾[1] ، وهو يلائم من كان يدعوه النبي صلى الله وبارك عليه وآله إلى الإسلام حينما رأى النبي قد اهتم بالأعمى الذي جاءه فعبس وتولى . أما إذا نسبوا العبوس إلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله فيكونوا بذلك قد نسبوا إليه التصرف بعكس ما بُعث به ، فقد قال صلى الله وبارك عليه وآله «**إنما بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق**»[2] وهذا التصرّف لا ينمّ عن عظيم الأخلاق التي مدحه بها من خلقه في قوله تعالى ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[3] فذهبوا في تفسيرهم إلى اختلاق قصة لا وجود لها إذ يقولون «**حتى بدت الكراهة في** وجه رسول الله» ولا دليل لهم على هذا . فمن الذي شهد لهم

(١) سورة المدثر ، الآية : ٢٢ .

(٢) مسند أحمد .

(٣) سورة القلم ، الآية : ٤ .

بأنه رأى الكراهة في وجه رسول الله؟ الأعمى أم الكافر ، أم أن المفسر كان حاضراً للواقعة؟! ثم يقولون «**يقول في نفسه** . . .» فمن الذي يعلم ما في نفس النبي غير الله؟ إن الذي يدعي تلك المعرفة فقد إدعى الإلوهية وعلم الغيب!! ودعوى علمهم بما في نفس النبي تظهر أيضاً في قولهم «**وقد قوي طمعه في إسلامهم**» وحاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أن يُخالف ما أُرسل به ، فقد قال له تعالى ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَاغُ**﴾[1] وذلك يعني قوله تعالى ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ**﴾[2] . فاختلاق «قوي طمعه في إسلامهم» ما هي إلا دعوى بمعرفة ما تخفي الصدور ؛ فحسبنا الله لأن العلم بما في القلوب لا ينبغي لأحد غير الله سبحانه . وبهذه الدعوى الباطلة ينسبون إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله مُخالفة ما أنزل الله إليه في نفسه ، لأنه ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَاغُ**﴾[3] فهذه حدود الدعوة إلى الله . وتصف ألسنتهم الكذب فيقولون في اتهامهم للنبي صلى الله وبارك عليه وآله «**وقال في نفسه : يقول هؤلاء : إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد**» ، فينسبون إليه أسوأ ما يمكن أن يصف به إنسان أصحابه . وما هذا إلا اختلاق لا أدري كيف جاءوا به وتجرأوا

(١) سورة النور ، الآية :٥٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٢ .

(٣) سورة النور ، الآية :٥٤ .

على الله ونبيّه بذلك؟ ويفترون على الله الكذب في تفسير ما جاء به رسول الله الكريم صلى الله وبارك عليه وآله ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[1] والقرطبي في تفسيره يقول «والعبس مخففا مصدر عبس يعبس عبوسا . والعبس هو ما يتعلق بأذناب الإبل من أبعارها وأبوالها» .

وقد ذكر أيضاً أنّ ابن أم مكتوم عاش في المدينة المنورة ، وكان يؤذن فيها قبل بلال لصلاة الفجر ولم يكن آذانه بمكة ، وسورة «عبس» مكيّة بالاتفاق فإذا كان ذلك كذلك فلا يصح شيء أصلاً من نسبة ما قيل في هذا الأمر كحديث «أهلاً بمن عاتبني فيه ربي» وكل ما قيل في نسبة العبوس إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله .

وقد ورد أيضاً أنّ ابن أم مكتوم كان يحمل راية سوداء في معركة القادسية فهل يا ترى أبصر بعد ذلك ومتى؟؟ ذكر ابن كثير «عن انس بن مالك قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعني ابن أم مكتوم» .

كما أنّ الذين ذكروا ممن كان يعرض عليهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله الإسلام – حين حضور ابن أم مكتوم للنبي صلى الله وبارك عليه وآله– وهم عتبة ابن ربيعة أو أبي بن خلف كلهم من أهالي مكة . فكل ذلك لا يكون إلا بمكة وابن أم مكتوم عاش بالمدينة وكان مؤذن النبي صلى الله وبارك عليه وآله فيها .

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٢٨ .

إنّ التفسير الموروث هذا يقول عن أحب الخلق إلى الله تعالى أنّ الله بعثه برسالة اختصه بها فتصرّف بعكس ما أرسله الله به . ورغم أنه بُعث ليتمم صالح الأخلاق فلمّا جاءه من يسأله عمّا بُعث به قابله بسوء الأخلاق حيث عبس في وجهه وأعرض وتولّى عنه أي أنّه خالف ربه ورسالته وتصرّف بعكس ما بُعث به . هكذا وصفه تفسيرهم في أخلاقه التي مدحه الله بها وهي صفة سبّ الله بها كافراً في قوله تعالى ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ . أهكذا يوصف رسول الله بالعبوس في وجه المساكين وسوء الخُلُق ليكون خطأه أساسياً في تبليغ الرسالة وهو العمل بعكس ما بُعث به فتنتفي طاعته لله الذي جعل طاعته طاعته وليكون مدح الله له بالخلق العظيم في غير محله وليعطوا من يعارضه الحق في معارضته – باعتبار أنّه لم يطع الله في تبليغ رسالته– رغم قول الله تعالى ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ...﴾[1] وقوله تعالى ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ...﴾[2]!!!

(١) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٦)

الاتهام بنطق الشيطان على لسانه

أجـمل الخلق على الإطلاق .. ولم يخلق الله البـارئ سبحانه أجمل منه منذ بدأ الخليقة ولم يصور المصور مثله في كل مـا أبدع من صور الجـمـال والحسن والبـهـاء «وليس في الإمكان أبدع مما كان» كما قال الغزالي رحمه الله حتى قال فيه من أحسن شعراً :

أجـمل منك لم تر قط عـيني
وأحـسن منك لم تلد النسـاء
خُلقت مـبـرءاً من كل عـيـب
كـأنك قـد خلقت كـمـا تشاء

وبلغ في حسن الخلق ما كان محل المدح ممن خلقه حباً في ذاته الشـريفـة وانزل فـيـه قـرآناً يتلى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ولحبه له كان وكيلاً له فيما يفعل ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[2] ومن عظمة حبه له قال له ﴿لَيْسَ

---

(١) سورة القلم ، الآية : ٤ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٧ .

لكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ . . ﴾[1] حتى يكون وكيله هو الفاعل عنه فيما يراد . . فيكون ما يريد فعله يفعله الوكيل سبحانه . . بل حتى ما يريده ، هو الذي يريده الله الوكيل عزّ وجلّ ويفعله . . . وصلى عليه هو وملائكته ولم يصلِ على نبي من الأنبياء قبله تحديداً بل صلى على من يصلى عليه أضعافاً ، وأمر الذين آمنوا كذلك بالصلاة عليه ومن يخالف أمر الله في الصلاة عليه فقد وضع نفسه في مكانة من أمَرهُ الله بالسجود لعبده ولم يفعل فطرد إلى يوم الوقت المعلوم . . وحذر من مخالفته ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ . . . ﴾[2] .

لأنه ليس له من الأمر شيء فالأمر أمر الله ، وأقسم على سلب الإيمان ممن يجد حرجاً في قضائه إذا احتكم إليه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3] كما نفى الإيمان عمن يحتكم إلى غيره . . ويبدو من ذلك انه الغاية من الخلق والمقصد الأسنى الإلهي حيث أخذ العهد على جميع رسله من آدم إلى عيسى عليهم السلام أن يؤمنوا بمحمد صلى الله وبارك عليه وآله بجانب إيمانهم بالله وينصروه قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٥ .

وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1] وفضله عليهم جميعاً . رغم عدم التفرقة في الرسالة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[2] وجعله خير الأنبياء صلى الله وبارك عليه وآله «يا فاطم نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك ومنا من له جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك ومنا سيدا شباب أهل الجنة سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك والذي بعثني بالحق لأبوهما خير منهما ومنا المهدي»[3] . . بل اتخذه نبياً قبل إكمال خلق آدم أبي البشر عليه السلام . ففي الحديث «جُعلت نبيا وآدم بين الروح والجسد»[4] وقرن إسمه بإسمه في كلمة التوحيد وفي عبادته تعالى في أهمها وهي الصلوات والنداء لها . . وجعل طاعته طاعته وبيعته بيعته وفعله فعله ولا يقبل أحدا خلا جوفه من حُب محمد صلى الله وبارك عليه وآله لأنه لا إيمان لمن لا يحبّ النبي وآله . اللهم إنا عاجزون عن أن نصلي عليه كما تحب أنت أن يصلى عليه فصلي اللهم أنت

(١) سورة آل عمران ، آية : ٨١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥ .

(٣) مجمع الزوائد .

(٤) الترمذي .

عليه وعلى آله فإنه حبيبك الأوحد الذي تقبل شفاعته في من يتنزل عليه غضبك . .

وإذا المُذل إلى جـهنم سـاقكم
هل غير أحمد من يُجير ويُسعِد

اللهم بلغنا الغاية في حبّه حتى لا نرى ولا نسمع غيره .

أشار الحبيب إلى بعض ما حباه الله به رفقاً بنا لمعرفة قدره حتى لا نسقط في التقليل من قدره الشريف فلا تقبل لنا توبة بعد ذلك . فيقول وهو مُعلم التواضع واكثر الخلق زهداً في الدنيا ، حيث كان يرقع ثوبه ويخصف نعله وينام على حشو الليف ، يقول مشيراً إلى سمو مكانته وعلو رفعته وفضله على المرسلين أجمعين **«لو كان موسى بين ظهرانينا ما وسعه إلا أن يتبعني»**[١] وذلك حينما رأى عمر بن الخطاب يقرأ في صحيفة من كتاب اليهود . وقال صلى الله وبارك عليه وآله **«آدم فمن دونه تحت لوائي»**[٢] **«أدبني ربي فأحسن تأديبي»** **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»**[٣] **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»**[٤] **«أنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي»**[٥]

(١) مسند أحمد .
(٢) مسند أحمد .
(٣) مجمع الزوائد .
(٤) مسند أحمد .
(٥) البخاري .

«والذي نفسي بيده لو أن أحدا صفن بين الركن والمقام وصلى وصام ومات على ذلك وهو مبغض لنا أهل البيت دخل النار»[١] **«لست كأحدكم فإني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»**[٢] .

قالوا عن قمة القمم . . رغم ذلك . . إنه ليس له فضل على بقية المرسلين ونسبوا إليه حديث «ولا يقولن أحدكم أني خير من يونس بن متى»[٣] وأعطوا العصمة لراويه وحاربوا من يطعن فيه لينتقصوا من علو قدره رغم قول الله تعالى ﴿ . . . **وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**﴾[٤] ورغم إثبات تفضيل الله لبعض الرسل وأفضلهم الحبيب النبي محمد صلى الله وبارك عليه وآله ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** . . .﴾[٥] ولا يعني الإصرار على صحة هذا الحديث إلا الإصرار على الانتقاص من فضله على يونس عليه السلام لا محبة فيه!!

وجعلوا للشيطان عليه سبيلاً بينما ينفون سلطة الشيطان عن أحد أصحابه إذا سلك فجاً . . قالوا إن الشيطان ألقى على

(١) مجمع الزوائد .
(٢) صحيح بن حبان .
(٣) مسند أحمد .
(٤) سورة القلم ، الآية : ٤٨ .
(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣ .

لسانه وهو يصلي «تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتها لترتجى» لينفوا العصمة عنه[1]!! ليقولوا أنّه نطق بآيات شيطانية وذلك تفسيرهم لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾[2] رغم قول الله تبارك وتعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[3] في السورة نفسها التي نسب إليه فيها حديث الشيطان على لسانه ولقد نسبوا إليه بهذا ما جعل غير المسلمين يتطاولون على أشرف وأعظم الخلق ويستهزؤون استناداً على هذه الأحاديث ليقولوا أنّه نطق بآيات شيطانية!!!

وكذلك قالوا تحداه الشيطان وهو واقف بين يدي الله ليقطع عليه صلاته حتى اضطر لقتاله وخنقه «فخنقته فإني لأجدُ بَرْدَ لسانه على ظهر كفّي، ولولا دعوةُ أخي سليمانَ لأريتكموهُ مربوطاً بالسارية تنظرونَ إليه»[4]!! بينما نسبوا إليه قوله في عمر بن الخطاب «ما سلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجّه»[5]. ولا يستقيم وجود هذين الحديثين مع صحة العقيدة لأنّ ذلك يعني أنّ المعلم صلى الله وبارك عليه وآله

(١) لباب النقول للسيوطي.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٣) سورة النجم، الآيات: ٢، ٣.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

(٥) البخاري.

الذي قال «بُعِثت معلماً» أقل درجة ممن أخذ عنه العلم وأنّ علاقة صاحبه عمر مع الله أقوى من علاقته هو مع الله الذي اختاره رسولاً يهدي به عمر بن الخطاب من ضلالة الشرك ودفن ابنته حيّة إلى الايمان بالله ورسوله!! فكيف يهرب الشيطان من عمر ويعترض رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله؟ فإذا اعتقدنا صحة هذين الحديثين فمن يكون المؤيد من الله؟ الذي يهرب الشيطان من طريقه أم الذي يعترضه في صلاته ويقاتله؟ وقالوا إن مع النبي شيطان كافر حين أرسله الله ولكن الله أعانه عليه فأسلم فلا يأمره إلا بخير!! يعني انه يتلقى الأمر بالخير من شيطان أسلم!! لا ادري هل بجانب الأوامر الإلهية توجد أوامر خير من الشيطان المسلم؟ وكيف التفريق بين هذه الأوامر؟ وما هي حدود الخير الذي يأمر به هذا القرين وهل تصل إلى التشريع؟ فإنّ التشريع خير والقرآن خيرا!! جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله قال لعائشة «... أقد جاءك شيطانك؟ قلت يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال نعم. قلت ومع كل إنسان؟ قال نعم. قلت ومعك يا رسول الله؟ قال نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم»[1] وفي حديث آخر «ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرين من الجن قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال وإياي إلا أن

(١) سنن الترمذي.

الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»[1] وقالوا إن الشيطان يجري منه مجرى الدم ففي مسند أحمد بن حنبل **«لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك يا رسول الله قال ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم»**[2] .

فتكون صورة النبي الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله عندهم أنّ كلامه -إن لم يكن بعض آيات القرآن أيضا كما قالوا في آية الغرانيق- يمكن أن يكون من شيطان يلقي على لسانه ما يقول فالسنة -إن لم يكن القرآن- يمكن أن تكون كما يزعمون من أوامر شيطان اسلم لا يأمره إلا بخيرا!! ولذلك يعتقدون في حديث الكتف والدواة وصحة ما ذهب إليه عمر بن الخطاب في ذلك الحديث **«أن الرسول غلبه الوجع»**[3] و«إنه ليهجر»!!! ورفض أن يؤخذ عنه ما يقول – ولا يكون ذلك إلا في حالة اعتقاد عدم وجود العصمة في هدي النبي صلى الله وبارك عليه وآله– وقال عمر حسبنا كتاب الله! وقالوا أن عمر أصاب وانه كان ينصح لله ولرسوله!! فإنّ الآية عندهم هي فليحذر الذين يخالفون عن أمر عمر حتى ولو كان النبي المعصوم!!! لأن العصمة لا وجود لها عندهم بعد أن ثبت

---

(١) مسلم .

(٢) الترمذي .

(٣) البخاري .

عندهم إلقاء الشيطان على لسانه ما يقول ؛ وتغييب اليهود لعقله بالسحر ، وهل الشيطان الذي ألقى إليه هو الشيطان الذي أسلم أم شيطان آخر لم يُسلم لأن كلام الغرانيق ليس خيراً بالتأكيد ، وذلك يعني عندهم أن هناك شيطاناً آخر لم يسلم أيضا له سلطان عليه ولا يأمره بخيرا!!

غفرانك اللهم أو أن ذلك الشيطان كما يقولون كان منافقاً أظهر الإسلام وهو يبطن الكفر ولا يأمره بخيرا!! ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

(٧)
الاتهام بأنه كان يهجر

هل يوجد في علماء المسلمين من يعتقد أن في أمّة محمّد صلى الله وبارك عليه وآله من يفضُل النّبي في علم أو معرفة أو دين أو خلق؟ وهل هناك من يؤيده الله تعـــالى دون النّبي ويفضل أفعاله على فعل النّبي ويؤيد مواقفه دون النّبي إذا اختلفا؟ وهل يعاقب الله النّبي إذا رفض أن يأخذ برأي أحد أصحابه؟؟! وهل يوجد أنّ أحد أكابر الصحابة وردت عنه مخالفة النّبي عمداً في حضرته وحال دون تنفيذ أوامره ورغم ذلك أطاعه الناس؟ وهل يصح لصحابي أن يتهم النّبي في عقله ويصفه بالضعف في حضرته؟؟!

كل المسلمين يقولون إن النّبي صلى الله وبارك عليه وآله لا يوجد من هو أعلم منه في أمته ولا من هو أكرم منه ولا أعز ولا أفضل عند الله تعالى، لا في أمته ولا في الرسل والأنبياء السابقين ولا مُشرِّع غيره في رسالته. وهذا هو الاعتقاد الصحيح الذي يجب أن يكون عليه كل مسلم. فهل هذا مثبت في كتب السنة التي وصلتنا؟

كيف بك أيها المسلم إذا قيل لك إن النّبي أمر من كانوا معه من الحاضرين بفعل شيء ما فاعترض أحدهم أمر النبي

صلى الله وبارك عليه وآله ، وقال للحضور لا تفعلوا ولا تستجيبوا لأمر الرسول فهو رجل مريض غلبه الوجع وإنه ليهجر ، ولا حاجة لنا بما يريد أن يفعل وعندنا كتاب الله!! ألا يعني هذا مخالفةً ومعارضةً لله تعالى لنص القرآن في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]؟ ترى هل هذا موجود في كتب السنة؟ وإن وُجِد فهل هو مدسوس فيها؟ وهل يوجد مسلم يقول إن هذا القول موجود في كتب السنة وإنه صحيح ولا غبار عليه وغير مدسوس فيها وإنه يمكن عصيان النّبي واتهامه في حضرته في قواه العقلية بأنه يتكلم من غلبة الوجع لذلك يجب أن لا يؤخذ بكلامه؟؟!!!

أيصح هذا القول من صحابي محترم يُحب النّبي مطيع لله في قوله ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ .. ﴾[2] أيكون هذا القول من رجل يؤمن بأن النّبي صلى الله وبارك عليه وآله معصوم كما قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾[3]؟ أيقول مثل هذا من يعتقد عصمة النّبي؟ وهل المرض يؤثر في عقل النّبي حتى يُرفض أن يُؤخذ منه؟ وذلك يعني أنه يتهمه في عقله!! وكيف يعلم من قال هذا القول الشنيع أن المرض اثّر على

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٣) سورة النجم ، الآية : ٣ .

عقل رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله؟؟ هل أطلعه الله على دواخل النّبي وعقله فعلم أن النّبي يهذي من المرض ولا يتكلم عن وعي وسوف يُخرِّب الرسالة التي جاء بها من عند الله وانه سوف يغير كلام الله ورسالته لأنه يتكلم من غلبة الوجع فهو يهذي؟؟!! قالوا إن الذي منع الحاضرين من الاستجابة لأمر النّبي ووصفه بالهذيان وغياب العقل هو عمر بن الخطاب!!! فقد جاء في البخاري عن عبيد الله أبن عبد الله عن ابن عباس قال : «لما اشتد بالنّبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» قال عمر إن النّبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا وكثر اللغط قال «قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع» فخرج بن عباس يقول «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه» وفي رواية صحيح مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ائتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً فقالوا «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر» وإذا كان عمر قد رفض أمر النبي بإحضار الكتف والدواة ومنع الحاضرين من أن يستجيبوا لأمره بحجة أنه مريض غلبه المرض ويهذي فلماذا لم يرفض أمر النبي حينما قال لهم «قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع» لنفس السبب الذي رفض به الأمر السابق ويرفض الخروج من عنده؟؟!!! .

القول «إنّ النبي صلى الله وبارك عليه وآله غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله» يشكك فيما يأمر به النبي صلى الله وبارك عليه وآله حتى لا يؤخذ عنه ما يريد أن يوصي به لهداية الأمة! بل هو اعتراضٌ على ما يريد أن يفعله النبي صلى الله وبارك عليه وآله في أمر هو خاصٌ برسالته ، ألا وهو هداية الأمة من الضلال ، وهو أمرٌ لا يكون لغيره الحُكم فيه لقول الله تعالى ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾[1] . فما زال نبياً ورسولاً رغم مرضه حتى يلقى الله ، وواجبٌ على كلّ مسلم طاعته واتّباع أمره لأنّ طاعته هي طاعة الله سبحانه . فكيف يُعصَى من قِبَل المُسلمين ويرفضون قوله ، وهو - كما قال تعالى - ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[2] والله سبحانه يقول ﴿ . . . وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا . . .﴾[3]؟ وكيف يرون أن الأصوب أن لا يأخذوا عنه؟ هل هو الشك فيما سيقول لهم أم أنه أصبح متهماً في صحة عقله! أو ربما يخرب عليهم ما جاء في كتاب الله أو يأت بشيء يخالفه؟! وهل يصح صدور ذلك من عمر ؓ ؟ وإذا قال عمر «حسبنا كتاب الله» ، فكتاب الله يُلزمهم بالأخذ عن النبي ، لا رفض ما يقول لهم

(١) سورة الحج ، الآية : ٦٧ .
(٢) سورة النجم ، الآية : ٣ .
(٣) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

ويأتيهم به ﴿ . . . وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ . . .﴾[1]!! فصورة النبي صلى الله وبارك عليه وآله عندهم هو ذلك المريض الذي لا ثقة لهم فيما يقولُ لما اعتراه من المرض ، فلا يؤخذُ عنه كرسول كأنّ المرض قد أنهى رسالته ورفع عصمته عنه وجرّده عن نبوّته ورسالته ، وأصبح شخصاً عادياً مريضاً لا يُقبَل منه رأي!! وأصبح قول غيره عندهم أفضل من قول النبي وأمره!!

فإذا اعتقدنا بصحة هذا الحديث وأنّه غير مدسوس واعتقدنا صحة نسبته لعمر فماذا أبقينا لعمر من الإسلام؟ لأنه لا يستقيم إسلام أحد مع معارضته للنبي ورفض أوامره واتهامه في عقله!!! فالنّبي صلى الله وبارك عليه وآله أمر بإحضار الكتف والدواة ، وعمر أمر بمخالفته وعدم إحضار الكتف والدواة!!!! فإذا قيل إنّ عمر محق فيما قال إذاً من المؤيد من الله الذي يجب اتباعه وعدم عصيان أمره؟؟

(١) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٨)

اتهامه بالشك في احياء الله الموتى

جاء في الحديث عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله «تعلموا اليقين»[1] وقال علي عليه السلام «الصبر رأس الدين ولا إيمان كاليقين» فالإيمان إذا بلغ غايته صار يقيناً فينتفي حينذاك الشك وتزول الظنون . والإيمان يزيد وينقص حتى يصير يقيناً فيستقيم التأرجح باليقين . واليقين يكون بالتعلم – ولذلك لا بد من شيخ خبير- وذلكم يعني نوعاً من السلوك أي أن العلم النظري وحده لا يفضي إلى اليقين وغايته الإيمان . والسلوك لا بد له من مرشد يعرف مدارج السالكين وعقباتها في منازل الإيمان واليقين . والإيمان يتعلق بالغيب فهو علم نظري متعلق بالمعنى لا بالشهادة .

والله سبحانه وتعالى هو عالم الغيب والشهادة والغيب متعلق بالمخلوقين ، لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء ، ولا يوجد غيب يحتاج هو للاطلاع عليه . فالأمر عنده كله شهادة لأنّه هو الصانع للكل . فالغيب بالنسبة للمخلوقين أمر تتوق الأنفس للاطلاع عليه ومعرفته بحثاً عن اليقين . وإذا

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي .

وصل الإنسان إلى الشوق لمعرفة الغيب فقد صار الإيمان بالغيب يقيناً عنده يشتاق لمعرفته وذلك علم اليقين ووراء ذلك حق اليقين ثم عين اليقين . وكل ذلك جائز إدراكه للعبد ما لم ينكر . فإذا أنكر العبد الغيب وقف حيث هو في معتقده وعلمه ﴿ ... وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[١] .

لأن العلم مخزنه المجهول العظيم الذي هو الغيب أو عالم الغيب . فمنكر الغيب واقف عن البحث والتفكير الذي هو العبادة التي لا تعدلها عبادة . ولا يزيد بإنكاره إلا جهلاً لأن الإنكار ليس علماً . وقد جاء «تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة»[٢] ومدح الله جل جلاله المتفكرين في محكم تنزيله في قوله ﴿ ... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[٣] وسئل الجنيد رضي الله عنه عن اشرف المجالس فقال «مجالسة الفكرة في ميدان التوحيد» .

وإذا وصل المرء إلى اليقين انتفى عنه الشك فلا وجود له عنده . وقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله «لو **كشفت لي الحجب ما ازددت يقيناً**» وهذا منتهى ما يصل إليه العبد حيث لا يزيده ولا ينقصه أمر من الأمور فيما وصل إليه

(١) سورة غافر ، الآية : ٧٨ .

(٢) اللؤلؤ المرصوع للقاوقجي .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٩١ .

من اليقين . ولا يتأثر بالحوادث كعامة الخلق! .

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم قمم أممهم لاختيار الله لهم ، ولو كان بين الأمة من هو افضل من نبيهم لكان هو الأولى باختيار الله له إذ يستحيل أن يختار الله لنفسه رسولاً ويصطفيه ويكون هناك من هو احسن منه وافضل في علم أو خُلق أو خَلق ، كما يقول الضالون بأفضلية أحد الصحابة على افضل رسل الله كلما اختلفا ؛ فيؤيد الله ذلك الصحابي ويؤاخذ النبي!! كأن الله قال لنبيه فليحذر الذين يخالفون عن أمر ذلك الصحابي أو ما آتاكم ذلك الصحابي فخذوه !!

فالرسل هم كلمات الله التامات التي يخرج الله بها عباده من الظلمات إلى النور ، وكان منهم عيسى عليه السلام ﴿ ... رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[١] وهم الذين يأخذون بأيد العباد إلى الإيمان وإلى اليقين من مزابل الشك وجحيم التأرجح . فيستحيل عليهم أن يوصف أحدهم بشك فيما هو عليه من ربه بعد أن يختاره الله رسولاً إلى عباده لهدايتهم إليه تعالى وتعريفهم به . ومن يقول بغير هذا فقد وضع نفسه حكماً عالماً فوق الأنبياء والرسل ؛ وأجرى حكمه عليهم بمعرفته القاصرة جداً ؛ وتعالى وتكبر بعلم يستحيل أن يمده الله به ويحجبه عن رسله وأنبيائه المصطفين ، الذين اصطنعهم الله لنفسه وحبّاهم وصلى على أفضلهم!!

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

فقد نسبوا إلى أفضل رسل الله الذي بعث معلماً أنه قال «نحن أولى بالشك من إبراهيم»(١) وذلك حينما ذهبوا في تفسير قول الله تعالى في حقّ إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(٢) وظن الكثيرون منهم أن إبراهيم عليه السلام شك في قدرة الله على إحياء الموتى . ومن يعتقد ذلك فقد كفر لأنه كفّر نبياً هو أبو الأنبياء!!! وحاول بعضهم أن يلين الحكم فقال إن إبراهيم شك في استجابة الله له في سؤاله!! وكيف يكون ذلك وهو تعالى القائل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٣) وقد سأله إبليس فأجابه حيث قال ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾(٤) فكيف يشك أبو الأنبياء في استجابة الله له وهو خليله؟ .

إنّ إبراهيم عليه السلام ما كان سؤاله عن صلاحية القدرة الإلهية وحاشا أن يشك فيها . بل سؤاله دلالة على عمق إيمانه بها . حيث طلب معرفة كيفية إحياء الموتى . وطلب معرفة

(١) البخاري .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

(٤) سورة الحجر ، الآيات : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ .

الكيفية دلالة على اليقين بإمكانية حصول الأمر المراد مع عدم معرفة كيفية حصوله . والكيفية لا تتم معرفتها إلا بالممارسة فسؤاله كان طلباً لمعرفة ممارسة إحياء الموتى . وهذا أمر يكون لكل من يصل إلى مقام الخلة . . . مقام إبراهيم . . . ومن دخله كان آمنا من كل شيء فلا يعمل عملاً يخشى فيه خللاً . وفي هذا المقام يحيي الموتى كما كان عيسى عليه السلام يفعل . ورغم أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾(١) لكنه لم يمارس إحياء الموتى . وطلب الإذن من الله تعالى ﴿ . . . رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى . . . ﴾(٢) تأدباً في الإقدام على عمل بين يدي الله . فكان السؤال من الله تعالى ﴿ . . . أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ وليس المقصود به الإيمان بالقدرة أو الإيمان بالله بل أن من كان في هذا المقام يحق ويمكن له أن يمارس إحياء الموتى وهو أمر يعرفه إبراهيم عليه السلام وكل من اختصه الله برحمته فالسؤال من الحق جلّ وعلا بـ ﴿ . . أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ هو تزكية من الله جلّ وعلا وشهادة لإبراهيم أنه ممن يحق له إحياء الموتى فلماذا يشك في مقامه وقدرته ﴿ . . أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ بأنك من أهل ذلك وأنت خليلي؟ ﴿قَالَ بَلَى . . . ﴾ أي أني مؤمن بذلك يا رب ﴿ . . . وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على ذلك بشهادة منك على أني من أهل

(١) سورة النساء ، الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

ذلك . قال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] فقام إبراهيم عليه السلام بمباشرة إحياء الموتى بنفسه وهي الكيفية التي كان عليها مدار السؤال وهو أمر بعيد كل البعد عن شك يكون من خليل الرحمن عليه السلام . ولا يقول بذلك إلا من يحمل رجساً من علم لا ينفع وما أجراهم!

ثم جاؤوا في علمهم بدم كذب وقالوا إن أفضل الرسل قال «**نحن أولى بالشك من إبراهيم**» كبرت كلمة تخرج من أفواههم . . . فإن كانت الرسل تشك فمن يُعلّم الناس اليقين ومن يُعرّفهم بالله؟؟ وبهذا الذي قالوه يريدون أن يثبتوا الشك عند إبراهيم عليه السلام وعلى أفضل الرسل صلى الله وبارك عليه وآله . ولو قيل لأحدهم أو نسب إليه الشك في اعتقاده ودينه لتبرأ من ذلك بكل ما يقدر بل لقاتل من ينسب إليه ذلك فنسبة الشك إلى النبي جائز عندهم ، ولا يجوز عليهم ولا على أئمتهم في مذاهبهم التي يأخذون عنها أو مصادرهم التي يستندون إليها .

اللهم إنّا نبرأ إليك أن ننسب إلى رسلك شكاً في إيمانهم أو نقصاً في يقينهم .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

(٩)
الاتهام بأن العلاقة مع الله تكون بدونه

قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1] .

فهم مطموسو البصيرة من عظمة هذه الآية التي استبطنت مدح النبي صلى الله وبارك عليه وآله وأشارت إشارة دقيقة إلى سمو معرفته دون غيره بالله جل وعلا ليكون دليلاً للسائلين عنه تعالى ، فهموا منها لكثافة حسهم وتبلد فهمهم ، وغلف قلوبهم الاستغناء عن المعلم!!!

ولو نظروا بعين مستبصر غير متعجل ، ومتدبر غير مستدبر ، لوجدوا أنفسهم في حاجة للمعلم حتى في كتب الجغرافيا والفيزياء والحساب بل في لغتهم التي يتحدثونها!!! فكيف لا تكون بهم حاجة للمعلم الأكبر في أعظم وأهم كتاب ما فرط من شيء في الوجود من كل علم وكل موجود؟

قام هذا المعلم بترجمة هذا الكتاب من كلام الحق سبحانه الذي تكلم به بغير جارحة ولا لغة ولا صوت مما يعلم الناس ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

إلى لغة عربية بلسان عربي مبين . وكان كما قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[١] .. كيف يستغني مستغن عن هذا المعلم الذي ترجم عن الله هذا الكتاب وما فيه من كل العلوم ويقول : لا حاجة لنا بهذا العالم والمعلم الذي عقل كل ما في هذا الكتاب عن الله الذي يحوي كل شيء وكل علم في الوجود ، وقام بترجمته إلى اللغة العربية؟؟ كيف لا تكون هناك حاجة ماسة وملحة لهذا المعلم في اكبر العلوم التي جاءت بها كل الرسل ألا وهي معرفة الله جل شأنه؟!!

إنها الأصل في كل الرسالات السماوية التي جاءت بها رسل الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٢] . فكانت الرسل صلوات الله على نبينا محمد وعليهم جميعاً هم كلمات الله التامة . قال تعالى في عيسى عليه السلام ﴿... رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ..﴾[٣] فالرسل هم كلمات الله التامة وأفضلهم سيد ولد آدم الذي أخذ عليهم العهد للإيمان به ولنصرته ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

(١) سورة الحاقة ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[١] وهو القائل «بعثت معلماً» وما العمل إلا بالكلمات ومن الكلمات التامة التي من تمسك بها أعيذ من الضلال ومن الشيطان ، وأعين الأنس والجان ، وهوام الزمان ، وبدأ سيره في السر والإعلان ، تابعاً طريق من أرسله الرحمن ، لهدايته وهداية كل الإنس والجان ، سيدنا وشفيعنا وحبيبنا محمد بن عدنان ، الذي جعل الله محبته هي الإيمان .. وطاعته طاعة القوي الديان ، والأخذ منه عن الله لا مباشرة من الملك الديان كما اعتقد أهل التكبر والجهل والخذلان ، الذين قالوا إن الله لا يحتاج إلى دليل . وما الدليل إلا الواسطة ..

الحق أنّ الله لا يحتاج إلى أحد فإنه غني عن العالمين ، ولكن يتخذ من يشاء لما يشاء ولا يُسأل عما يفعل .. وما كان يعجزه سبحانه وتعالى أن يلقي مصحفاً لكل إنسان في منزله ، وما كان يعجزه أن لا يكون هناك جبريل بينه وبين رسوله الكريم ، حيث أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله أقرب إليه من جبريل ؛ إذ مبلغ جبريل سدرة المنتهى ومحمد صلى الله وبارك عليه وآله في مقام «أدنى» من قاب قوسين لأن كلمة «أو» الواردة في الآية ليست للتشكيك ، تعالى الله أن يكون في كلامه شك أو في بيانه تشكيك ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٢] ، .. وما كان يعجزه سبحانه أن لا يكون هناك رسول

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨١ .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٩ .

أصلاً فتكون علاقة كل إنسان بربه مباشرة دون الرسول كما يعتقد أهل الأفهام المنكوسة والبصائر المطموسة . ﴿ . . . إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾[١] .

فالرب جلّ شأنه في هذه الآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٢] يوجه عباده إلى رسوله إن أرادوا معرفته ، كي يستجيبوا له ويستجيبوا لرسوله الكريم فالتوجه لمعرفة الله وكيفية التعامل معه لا تكون لبشر إلا عن طريق من أرسله وأحبه ومدحه . وقد فهم مطموسو البصيرة أن الآية هي : وإذا سألني عبادي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان لم يفطنوا بل لم ينظروا بعين متدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٣] فكلام الله جل شأنه هنا هو خطاب للنبي عن أولئك الذين يرغبون في معرفة الله تعالى وكيفية التعامل معه . . لم يوجه الحق سبحانه الخطاب هنا إلى عباده مباشرة ، بل لنبيه الكريم ليبين لأولئك الذين يسألونه بأدب المتعلّم مع معرفة قدر المعلم عن كيفية تعاملهم مع الخالق الذي أرسله حيث قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي . . . ﴾ فعلى عباد الله التوجه إلى رسول الله وسؤاله ؛ لا تخطيه والتعامل مع الله دونه! فهو الذي يُعرِّفهم

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

(٣) سورة محمد ، الآية : ٢٤ .

بالله ، بإنّه يقول عن نفسه ﴿ . . . فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ . فالمرجع هو النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليعرفهم القرب من الله الذي به يجيب من دعاه فإنّ الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه ولا يجيب دعاء من أكلُه حرام وملبسه حرام . ولا يقبل الله أحدا إلا عن طريقه لأنه المعلم بل «مدينة العلم»[١] كما قال هو عن نفسه صلى الله وبارك عليه وآله . وبين الحق ذلك في أمر الذين يظلمون أنفسهم ثم يريدون اللجوء إليه تعالى والاستغفار من سوء ما عملوا في ظلم أنفسهم . فإن من يجيء إلى الله عن طريق حبيبه ورسوله يجد الله تواباً رحيماً . . . ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾[٢] وفهم مطموسو البصيرة من هذه الآية أيضا : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم استغفروا الله لم يتدبروا ولم يروا كلمة ﴿ . . جَاءُوكَ . . . ﴾ التي عليها المدار فإن من يذهب إلى المدينة – ولو بعد ارتحال الحبيب إلى الرفيق الأعلى– ويستغفر الله عند مرقده يختلف أمره عمن يذهب إلى البيت العتيق ويستغفر هناك رغم أن الحسنة هناك بمائة ألف ضعف لأن شرط أن يجد الله تواباً رحيماً مقروناً بالمجيء إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في المدينة لا إلى بيت الله الحرام!!!

---

(١) مجمع الزوائد .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وحكم الآية باقٍ إلى قيام الساعة لم ينته بارتحال النبي صلى الله وبارك عليه وآله إلى الرفيق الأعلى وإلا لأصبحت من القصص التي تحكي عن عهده وتعامله مع أصحابه كقصص الأمم السابقة .

قال تعالى ﴿... فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ...﴾ فهل استجاب العباد له تعالى؟ وكيف يعرفون انهم استجابوا له إن لم يؤمن النبي على ذلك وهو الذي ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ...﴾[1] ويصلي عليهم لأن صلاته سكن لهم لأنه حريص عليهم وبهم رؤوف رحيم!! قال تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[2] وقال عز من قائل في حق أحب خلقه إليه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3] فهل استجاب العباد لله تعالى؟؟ إن الاستجابة له جل شأنه هي الاستجابة لرسوله حيث قال ﴿... اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ...﴾[4] كيف يفكر المنقطع بكبريائه ويظن أن علاقته مع الله لا يحتاج فيها إلى النبي المعلم صلى

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦١ .
(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣ .
(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .
(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤ .

الله وبارك عليه وآله؟ وما أرى هذا إلا ظلم النفس بعينه . والله سبحانه يبين له انه إذا استغفره عند الحبيب لوجده تواباً رحيماً . ألا يعني هذا التوجيه الإلهي عظمة منزلة الحبيب عند الله سبحانه وتعالى بأن جعل أداء عبادته عنده مشروطة بالقبول لا كما تؤدى في أي مكان آخر ولو كان بيت الله الحرام . فلِمَ يستنكف المستنكف عن اتخاذ النبي دليلاً ومعلماً ويقول لا حاجة له به في علاقته بربه؟؟ وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله دعا أحد الأصحاب وكان يصلي فلم يجبه حتى أتم صلاته فسأله النبي عن تلكؤه فقال كنت اصلي يا رسول الله فقال له الحبيب (**ألم تسمع قول الله تعالى** : ﴿... اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ...﴾)؟[1] لأن طاعة النبي هي طاعة الله دون تفريق . ومن لم يطع طاعة النبي هذا القدر وهذا الحق فقد خالف الله لأن الله لم يفرق بين طاعته وطاعة النبي محمد صلى الله وبارك عليه وآله واحذر أن تكون ممن انحرفوا عن القصد ﴿... وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ...﴾ بدعواهم ﴿... وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾[2] لذلك لا يمكن لأحد أن يكون طائعاً لله بينما هو مخالف للنبي صلى الله وبارك عليه وآله كالذي لا يقصر في صلاة السفر ويعتقد أن ذلك سنة بينما

(١) سنن أبي داود .
(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ .

هي مخالفة لسنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، وهي تعني عدم طاعته ، أي عدم طاعة الله جل شأنه ، فهي إذاً معصية وليست عبادة . ولا سنة لأحد مع سنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله!!! ولا عبرة بمن بدأ عدم القصر في السفر لأنه قد بدأ أمراً مخالفاً لما شرعه مَن طاعتُه طاعة الله وعليه وزرها ووزر من عمل بها!! وكلّ من يخالف النبي فقد خرج عن طاعته ، وكل من خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة الله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ . . .﴾[1]!!

قال تعالى ﴿ . . . وَلْيُؤْمِنُوا بِي . . .﴾ والإيمان بالله جل شأنه يستوجب الإيمان بكتابه وبرسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ . . .﴾[2] وقد أمر تعالى الذين آمنوا في كتابه العزيز بالتمسك بالنبي صلى الله وبارك عليه وآله وانه المرجعية فلا يأخذون إلا عنه ويتركون كل ما نهى عنه وفوّض إليه الأمر كله ، قال تعالى ﴿ . . . وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا . . .﴾[3] وحذر تعالى من مخالفته ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ . . .﴾[4] وجعل طاعته طاعته دون فصل بينهما ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

اللَّهَ . . .﴾[1] فمن خالف فقد خرج عن طاعته أي طاعة الله جل وعلا . ولا يدعي أحد انه يمكن أن يخالف النبي ورغم ذلك يظل طائعاً لله لأن في هذه الدعوى يكون النبي – عنده – هو المخالف لله ومخالفته للنبي هي طاعة الله!! فينتفي الإيمان برسول الله وطاعته وينتفي الإيمان بالرسالة وتنعدم الضوابط والمرجعية ومعرفة الله تعالى . لأنه سبحانه يبين أنّ طاعة الرسول صلى الله وبارك عليه وآله هي طاعته بينما هذه الحالة تقول إن مخالفة النبي هي طاعة الله كما قالوا في حديث أسرى بدر حيث قالوا إن المخالفة للنبي كانت هي طاعة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله!!! وكما قالوا في مخالفة من خالف النبي واعترضه في الصلاة على عبد الله بن سلول انه كانت مخالفته كذلك طاعة لله . وذلك يعني عندهم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله كان مخالفاً لله!! وهذا هو المحال بعينه لأن طاعة النبي لا تنفك عن طاعة الله ، ولا يوجد على وجه الأرض من يحكم بأن النبي خالف ربه لأن كل ما يأمر به ويفعله تجب طاعته فيه من حيث انه طاعة لله فكيف الخروج عليه واعتراضه اعتقاداً بأن طاعته في موقف من المواقف ليست هي طاعة الله؟؟ ومن الذي له الفوقية على النبي حتى يحكم أن النبي في هذه الحالة خالف ربه ولا تجب طاعته ثم يقترح هو غيرها!!؟

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

ومن هم أتباعه في هذا الفهم ليقولوا لنا إن الله قد غيّر أمره من
طاعة النبي إلى طاعة هذا المقترح الفوقي في ذلك الأمر أو تلك
الحالة بنسخ الآية ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ . .﴾[1] أو
يقولوا بنسخ حكمها ليتسنّى لهم قبول مخالفة النبي ويقولوا
بأنها طاعة لله!!! ثم يقوموا بتعظيم ذلك المخالف للنبي ويقولوا
إن الله وقف معه في هذه الحالة وترك النبي بل أخذه لعدم
قبوله رأي من خالفه!!! اللهم إنا نبرأ إليك من هذا الاعتقاد
وعليك صلاة الله يا رسول الله وعلى آلك الكرام فوالله «ما
أوذي نبي مثلما أوذيت» .

إنّ العمل ابتغاء الأجر هو مقصد الأكثرين من الأمة
لظنّهم أن دخول الجنّة إنما يكون بالأعمال لا برحمة الله .
والأجير لا يكون مستحقاً للأجر إلا إذا تم العمل بإتقان
وإخلاص . فكان من توجيه الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله
«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» والإحساس
بالسعادة لدى طالبي الأجور يكون عندما يُوَفّى العامل أجره
لأنه علامة الرضاء من صاحب الحق ودلالة النجاح والفوز .
وإذا كان المحاسب بصيراً فالنجاح عسير ولذلك قيل : «من
حوسب هلك» وفي الحديث **«الكيّس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت»**[2] لأنّ حقيقة الأعمال - وإن كانت معاملات

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد .

اجتماعية كالبيع والشراء والنجارة والحدادة والبناء- فيها
العوَض والأجر الأخروي وتَصُبُّ في ميزان المسلم صالحةً كانت
أو طالحة . وإن صَحِبَها حسن الخلق فهو أثقل الأعمال في
الميزان يوم القيامة . فمن أُعطي أجره فقد غنم وسعد . قال
تعالى ﴿ . . . وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . .﴾ وبعد
وفاء الأجور وهو الميزان لا يدخل الجنة أحد إلا بالرحمة ﴿ . . .
فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ . . .﴾[1] .

وبما أن الفوز هو دخول الجنة ، فقد جعل الله لنا الحبيب
صلى الله وبارك عليه وآله سَنَداً وذُخراً لذلك خاصة للذي
يتأرجح ميزانه من كبائر الذنوب . قال صلى الله وبارك عليه
وآله **«شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»**[2] فاجعلوا يا أحباب
النبي أملكم فيه لأنه المنقذ والمنجي لمن وجبت له النار . . ولا
تجعلوا أملكم في أعمالكم التي قد تُرفض لعيبٍ أو عدم
إخلاص أو عدم إتقان أو رياء أو لعدم فتح باب القبول لها . .
بل اجعلوا أعمالكم كالكبائر عندكم حتى تكونوا ممن يشفع
لهم الحبيب . . أدّوا أعمالكم إتباعاً للحبيب لا ابتغاء الأجر
حتى لا تتعرضوا للحساب لأن طالب الأجر محاسب على
عمله ومن حوسب هلك . واللجوء إلى الحبيب صلى الله وبارك
عليه وآله يستجلب توبة الله على العبد . قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد .

إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾[1] وحُكم هذه الآية باق لا يزول ووعد الله حق ومن أوفى بعهده من الله؟ ولن يخلف الله وعده بارتحال الحبيب إليه والشرط باق في هذه الآية إلى يوم القيامة: ﴿ولو أنهم... جاءوك...﴾. فمن يذهب إلى المدينة المنورة ويستغفر الله عند المرقد الشريف فإن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله يستغفر له ويكون قد استوفى الشرط.

إن ذكر الله مطلوب في كل وقت وكل مكان وعلى كل حال ومطلوب فيه الإخلاص لله، والبراءة من الرياء، وهو الشرك الخفي، والبراءة من العُجب الذي قال فيه المعلم صلى الله وبارك عليه وآله «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من الذنب العجب» والبراءة من الغرور وهو حظ النفس المفضي إلى الكبر الذي قال فيه المعلم صلى الله وبارك عليه وآله «لا يدخل شيء من الكبر الجنة»[2] كما يجب أن يكون الذكر قد تم بإتقان. ففي الحديث «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» على أن يسبق ذلك كله نية صالحة فقد ورد «نية المرء خير من عمله»... وبعد ذلك يقدم العمل إلى الملك العظيم البصير جل جلاله ذي العزة والجبروت إن كان يليق بأن يُقدَّم إليه مثل هذا العمل. وهو الذي بحوله

---

(1) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(2) مسند الإمام أحمد.

وقوّته أديته لا بحولك وقوتك.. فهل أدّيت الشكر في أنه وَفَّقك لهذا العمل الذي ليس لك منه شيء بحولك وقُوَّتك؟؟ أما كان يمكن أن يجعلك جل جلاله من أهل المعاصي والذنوب؟؟!.. إذن فإنْ رَفَضَ عملك فهو العدل بعينه لأنه لا حول ولا قوة لك فيه. فهذا العمل الذي تم ولو بصورة جيدة ومتكاملة فهو بين الرد والقبول!! فالذي يتمسك بعمله ويعتمد عليه لينجو به فقد وضع نفسه في موقف لا يدري أين ينتهي به لأنه لو لم يقبله مَن ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ...﴾[1] فقد هوى وأمه هاوية. ورفضُه تعالى عدل وكل فعله عدل لأنه لا حول ولا قوة إلا به. فكيف النجاة؟؟

أتقن العمل وأخلص فيه لله وابتعد عن الغرض ثم لا تطلب أجراً. فإنّ الأجير محاسب ومن حوسب هلك فلا تجعل نفسك مع الهالكين.. ليكن عملك الذي ترى أنك أتقنته وأخلصته في معدود السيئات بل من الكبائر حتى تطمئن إلى النجاة. لأن أهل الكبائر هم الذين يتولى أمرهم من لا يَرُدُّ الله له شفاعةً فيحول الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بينهم وبين النار. ذلك لأنهم يئسوا من نفع أعمالهم فلم يعتمدوا على أنفسهم ورأوها في عداد الهالكين والتجأوا إلى الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله الذي قال «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

أمّتي»[1] فهم الذين ﴿جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ...﴾[2] من أعمالهم صالحة كانت أو طالحة (والذي يرى أعماله صالحة يستغفر من نسبتها إليه لأنه ليس له فيها حول ولا قوة فهو إذن صفر اليدين ولا عمل له!! فإلى من يلجأ؟؟ يقول أدعياء التوحيد يلجأ إلى الله . ولكن الله إذا أحببت أن تجده تواباً رحيماً فالجأ إلى من أرادك أن تجيء به إليه ليستغفر لك ، لتجده تواباً رحيماً . وأما إذا جئته بنفسك – دون حبيبه – فقد تجده جباراً منتقماً شديد العقاب . فأراد الله أن يطلبوا غفرانه وتوبته عن طريق مجيئهم إلى الرسول صلى الله وبارك عليه وآله فيستغفروا الله عنده – لا عند بيته الحرام – ويسألوه أن يستغفر لهم . ولو اتّبعوا هذا المنهج وسلكوا هذه الطريقة فإن الله وعدهم بأن يجدوه كما يحبّون تواباً رحيماً . قال تعالى ﴿ ... وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[3] . فإن لم يتيسر لك الذهاب إلى المدينة فاطلب ممن ترى فيه الصلاح ليستغفر لك ذنوبك . فقد قال إخوة يوسف ﴿ ... يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ...﴾[4] .

لقد ضمن أهل الكبائر الشفاعة بالنص «شَفَاعَتِي لأَهْلِ

(١) مسند الإمام أحمد .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .

(٤) سورة يوسف ، الآية : ٩٧ .

الكَبَائِرِ مِنْ أمَّتِي» فما أفضل من أن يحسن المرء عمله ويؤدي واجبه بإتقان ثم يحسب نفسه من أهل الكبائر ويكثر الصلاة على الشفيع المشفع الذي به النجاة يوم يقول الرسل : نفسي نفسي . إن الذي يلقى الله بالنبي معتمداً عليه يائساً من نفع عمله واثقاً بشفاعته فقد دخل في ظل جاهه العريض وضمن النجاة به .. ومن يظن أنه من الموحدين ولا حاجة له بالنبي صلى الله وبارك عليه وآله وشفاعته ، بل يشك في أمر الشفاعة ذاتها ، ويريد أن يلقى الله بعمله ، فليعلم أنه ليس لله حاجة في عمله ولا يزيد عمله في ملك الله شيئاً . وقد عرّض نفسه للحساب أمام الناقد البصير العليم بالنوايا الذي لا يُسأل عما يفعل وما أقسى الحساب في يوم الحساب!! يوم يُعرض الناس على رب العالمين ، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ...﴾[1] . ثم ماذا بعد الحساب؟ فإن الجنة لا يدخلها أحد إلا برحمة الله لا بعمله . فالذي لم تدركه الرحمة بعد الحساب فلا نجاة له وإن كان عمله كأعمال الملائكة!! فالذي يعتمد على عمله ولا يرجو رحمة الله هلك . ومن عرف الرحمة فعليه بها لأنها سبب دخوله الجنة وهي محمد صلى الله وبارك عليه وآله قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2] وقال صلى الله وبارك عليه وآله «يا أيها الناسُ إنما

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

أنَا رحمةٌ مهداةٌ»[1] .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد رسولك الرحمة المهداة للعالمين وعلى آله الطاهرين أجمعين ، وأرض اللهم عن صحابته المنتجبين ، واجعلنا مِن أحبِّ الناس إليه وآله وأكثر الناس حُبّاً فيه وآله ، واجعلنا إماماً للمتقين ، وأرفع بنا كلمة الحق وراية الدين ، واجعل أعداءنا أعداءك وانصرنا عليهم أجمعين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) سنن الدارمي .

(١٠)
الاتهام بعدم المرجعية في الرسالة

إذا آمنا بالله جل جلاله فذلك يعني أننا قد صدقنا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بأنه مرسل من ربه ، وأنّ الله تعالى أوحى إليه هذا القرآن الذي هو كلام الله القديم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ونجد أن الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله قد أحالنا إلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله فقال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1] ولم يقل «ما أتيتكم فخذوه» وقال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] لتصبح مخالفته صلى الله وبارك عليه وآله مقرونة بالمصائب والفتن والعذاب الأليم ذلك لأنه جعل طاعته طاعته حيث قال تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[1]3وبذلك أصبحت الأمة كلها محالة من الله إلى الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لإتباعه وطاعته والأخذ عنه

---

(١) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

ووجوب عدم مخالفته لأن معصيته معصية الله . وبهذا تكون المرجعيّة للمسلمين هي الرسول صلى الله وبارك عليه وآله في الدنيا وكذلك في الآخرة حيث جعل الله سبحانه وتعالى الأمر للنبي صلى الله وبارك عليه وآله دون بقيّة الرسل . فهو الذي ينتهي إليه أمر الخلائق ليشفع لهم عند الله سبحانه بشفاعته الكبرى ليقضي بينهم كما ينتهي إليه أمر أهل الكبائر من أمّته بشفاعته الخاصة ليحول بينهم وبين النار ويدخلهم الجنّة . فرفع الله ذكره في الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1] ووعد بقبولٌ كل من يأتيه جل جلاله عن طريق النبي في الدنيا والآخرة . فهو حبيبه الأعظم الخاتم السابق الذي ليس له من الأمر شيء إذ كل أمره أمر الله في رميه وفي كلامه فإنّه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[2] وأخذ الله العهد على كل رسُله ليؤمنوا به وينصروه ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[3] وأمَر الذين آمنوا ليعزّروه وينصروه ويوقّروه قال تعالى ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

(١) سورة الشرح، الآية : ٤ .

(٢) سورة النجم، الآية : ٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ٨١ .

وَأَصِيلًا﴾[1] . ولا أدري كيف بعد كل هذا صحّ لبعضهم التجرّؤ في الكلام عنه ناقدين ومنتقصين لقدره الشريف في السلوك والعلم والعمل؟ ولا يكون ذلك إلا عن يدّعون الكمال أكثر منه في العلم والأخذ عن الله مباشرةً لا عنه حتى يصح لهم ما يقولون فيه ، فنسبوا إليه العبوس في وجه السائل وهو الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق!!! ونسبوا إليه عدم العلم بأمور الدنيا ، وهو الذي بُعث معلّماً!! ونسبوا إليه نقص العلم في تدبير موقع الجيش في الحرب ، وهو الذي كان يعلم بالتحديد أين مصارع القوم في تلك المعركة وكانت كما قال!!!

فداك نفسي وولدي وأبي وأمّي يا رسول الله فما أوذي نبي من أمّته مثلما أوذيت .وتحديد أماكن مصارع القوم كان قبل بداية المعركة بالتأكيد فكيف يعجز من يستطيع معرفة أماكن القتلى عن تحديد المكان الصالح للجيش؟

يقول بعضهم إن المرجعيّة هي القرآن . ولكن الذي يقول بذلك يعني نفسه أنه هو المرجعيّة أو أنّ مَنْ يأخذ عنه من المفسرين هو المرجعيّة ولكن لا ينبغي لأحد أن يقف في مرجعيّته عند القرآن لأن القرآن أحال المرجعيّة للرسول صلى الله وبارك عليه وآله قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ . فالذي يقف في مرجعيّته عند القرآن يريد أن تكون المرجعيّة لغير النبي صلى الله وبارك عليه وآله ،

(١) سورة الفتح، الآية : ٩ .

أي لكل من يدّعيها من أدعياء العلم والتفسير!الآنّ القرآن يفسره كل ذي عقل قَدْرَ وُسع عقلِه ولا يكون فيما اجتهد وأبان وشرح قد استقصى التفسيرَ لأنه كلام الله الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه ولا يُحاط به . وكلّ من كان هذا منهجه فقد سقط من علمه قول الله تبارك وتعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] ووضع نفسه في مكانة النبي ليبين هو للناس ما نزل من القرآن!!!

وكل الناس في التعلّم من القرآن محتاجين إلى المعلّم صلى الله وبارك عليه وآله ليبينه لهم . فقد قال الله تعالى ﴿... ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ...﴾[2] وهو أمر صريح بالركوع والسجود ولغة واضحة وصريحة ولا يظن أحد أن فيها ما يحتاج إلى شرح أو تبيين من المعلّم صلى الله وبارك عليه وآله ، ولكن المعلّم صلى الله وبارك عليه وآله حينما بيّنها للناس رفع من الركوع حتى استقام ثم خرّ ساجداً!! فما ينبغي لأحد أن يتجرّأ بفهمه هو للقرآن وأخذه منه مباشرة دون النبي ثم يتطاول بهذا الفهم القاصر بالحكم على النبي صلى الله وبارك عليه وآله بما لا يناسب الكمال المحمدي في العلم والسلوك والعمل! فيقول من ضلّ ومن جهل : النبي بشر مثلي ومثلك ، لفهمه من كلام

(١) سورة النحل ، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٧٧ .

الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ...﴾[1] قدر وسع عقله ولم يلتفت لقول الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله في هذا المعنى «إني لست كأحدكم إني أظل يطعمني ربي ويسقين»[2]!! فلو لم يكابر ويسارع بهذه الفتوى الكريهة التي يخرج بها لنفي العصمة عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لَعَلم أن النبي لم يكن له ظل ، وكان يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، وكان تنام عيناه ولا ينام قلبه ، وكان يدعو الشجرة فتلبي وتجيء تشُقُّ الأرض ، ويسأل الضب فيشهد له بالرسالة ، ويسلّم عليه الحجر ، ويشكو له البعير ، ويبكي عنده الجذع ، ويَحِنُّ حنين النوق ، لأنه اتخذ منبراً صعد عليه وترك الصعود على ذلك الجذع ، حتى نزل الحبيب ومسّ عليه . ووعد سراقة بأساور كسرى وهو أمر تم بعد نيف وعشرين سنة ، وهذا يعني أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله كان يعلم كم عمر سراقة ، وإنه لن يموت بل سيعيش كل هذه السنين حتى يحضر هزيمة كسرى وتؤول إليه أساوره!!!

أعظِم به من علم وأَعظِم به من مُعلّم جهلَه قومه وأوذي ما لم يؤذ نبي من الأنبياء!! فكل مُفسّر يقول إن المرجعيّة هي القرآن فإنه يقف عند تفسيره هو الذي ينتهي إليه علمه ومعرفته ، وهي مرجعيّته فلم يتعد نفسه أي أنه هو بفهمه

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل .

للقرآن أصبح هو المرجعيّة كما يرى ويفهم هو من القرآن!!!
ويكون بذلك كل عالم أو صاحب مذهب هو مرجعيّة قائمة
بذاتها ويظن أنه يمكن أن يتكلم عن النبي وعصمته من رؤيته
هو وفهمه وتكون المرجعيّة متعددة بتعدد العلماء وأصحاب
المذاهب!!

ولهذا لم تجتمع كلمة الذين آمنوا وتعددت مذاهبهم في
دينهم وتعددت آراؤهم في نبيهم واختلفت مفاهيمهم في
ربّانيته . وأصبح الذي بُعث مُعلّماً لكل الناس محلاً للنقد في
تعليمه من قِبَل المُفتَرَض فيهم أن يكونوا آخذين ومتلقين عنه
بأدب التلميذ المحتاج للعلم من سيّد العلماء وسيد ولد آدم
المحتاجين إلى علمه في الدنيا وإلى شفاعته في الآخرة!!!
وأصبح الرسول صلى الله وبارك عليه وآله مجالاً لاختلاف
الآراء فيه وفي عصمته بل والحكم على مواقفه ومقارنتها
بمواقف أناس عاديين من أتباعه وأمته! وربما حكم عليه بعدم
الإصابة في الرأي وصوب غيره كما قالوا في قصّة أسارى بدر!
وربما حكم عليه بالخطأ في السلوك في أداء الرسالة التي جاءت
لتتمّم مكارم الأخلاق . فيقولون إنه أبدى في رسالته ، التي
بعث بها ، مساوئ الأخلاق كالعبوس في وجه الفقير الأعمى
الذي جاء ليتعلم مكارم الأخلاق فقابله الرسول صلى الله
وبارك عليه وآله بالصدود عنه والعبوس في وجهه! فتصرّف
النبي صلى الله وبارك عليه وآله - كما يقولون في عقيدتهم -
بعكس ما بعث به!!! لأنهم يعتقدون في أحاديث توحي إليهم

بذلك فقد جاء في مسند أحمد : « . . . عن أبي هريرة قال ثم
كان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر (أي يهذرب بكلام لا
معنى له) قال فصليت ثم جئت فجلست إليه فقال يا أبا هريرة
«أشكنب درد» قال قلت لا يا رسول الله قال صل فإن في
الصلاة شفاء» . وجملة «أشكنب درد» كأنها نوع من الهذيان ،
يريد أبو هريرة أن ينسبه لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ،
فسارَع بقوله «لا» فقال له صلى الله وبارك عليه وآله قم فصلِّ
(وهو كان يصلي قبل أن يجلس إليه) ؛ فكأن النبي صلى الله
وبارك عليه وآله كان يهذي وأبو هريرة يصلي كما يقولون!!

لو قال أبو هريرة حقيقة هذا الحديث فإنه هو الذي يهجر
ويهذي ويهذرب لا النبي المعصوم الذي لاينطق عن الهوى .
فالصورة عندهم للنبي هو ذاك الذي يتكلم في بعض الأحيان
بكلام لا معنى له من الهذيان والهذربة . فكيف يكون بعد هذا
معصوماً في نظرهم ، وما ينطق عن الهوى ، ويَجبُ أخذُ ما أمَرَ
به وتركُ ما نهى عنه؟ ﴿ . . . إذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ
رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾[1] هكذا تُظهر المراجع النبي في صورة ذلك
الذي يجلس يهذي بكلام لا معنى له ، بينما أحد الأصحاب
في علاقة مع الله بعبادة الصلاة ؛ فشتّان بين من يهذي
ويهذرب ومن هو واقفٌ بين يدي الله يُصلّي!! ﴿انْظُرْ كَيْفَ

(1) سورة الإسراء ، الآية : 47 .

﴿ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾[1] أهكذا حال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وحال أبي هريرة؟؟
إنها صورة لا تصح إلا للمُستَهزئين بمقدساتنا وديننا!!

إنّ الله عز وجل في كتابه العزيز أحال الأمة الإسلامية في دينها إلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله والأخذ عنه وأوجب طاعته وحذّر عن معصيته وعليه يكون صلى الله وبارك عليه وآله هو المرجعيّة كما ذكرنا . فإذا تقرر ذلك فإنه يجب إبعاد كل الأحاديث التي تجعل لأحد من أمته مكانة كمكانته أو علماً كعلمه أو سُنّة كسنته . ويكون من سخف العقول قبول تلك الأحاديث التي تجعل لأحد من أمته أو أصحابه مزية عليه أو أفضلية في موقف من المواقف ، أو أمر من أمور الدين أو هداية الأمة إن لم يكن هو الكفر البواح . وكل ما يخص الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله يجب أن ينظر إليه بنظرة المتعلم منه ويؤخذ عنه بأدب التلميذ من قبل كل فقيه وعالم ومحب ومن كل مسلم . . لا بنظرة الناقد فإن الناقد يرتكز على مرجعيّة منها يتكلم عن الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله في عصمته . ولا توجد مرجعيّة لأولئك إلا في البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة والتفاسير ، ومنها يحكمون على النبي صلى الله وبارك عليه وآله!!

قد يقول قائل إذن من أين لي أن أبحث أو أتكلم عن النبي

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٨ .

في غير هذه المراجع الدينية التي أصبحت في محل القداسة عند المسلمين؟ أقول إن هذه الكتب لها الفضل الكبير في تدوين السنة والأحاديث والتاريخ ، ولكنها لا تتمتع بالعصمة لأن العصمة لا تكون إلا للنبي فلو أخذنا كلّ ما فيها تكون بذلك قد أعطيناها العصمة وقبلنا منها ما يطعن في عصمة النبي وهو ما يوجد فيها في بعض الأحاديث . قد يقول قائل وكيف بي علم تلك الأحاديث وانتقائها؟ فنقول كلما نجد من أحاديث تقلل من عظمة النبي صلى الله وبارك عليه وآله الذي هو المرجعية أو تجعل لأحد غيره مكانة كمكانته أو ترفع أحداً غيره فوقه في موقف من المواقف أو تعطيه مزية عليه في أمر من أمور الدين فإنه يجب استبعادها وإنكارها ورفضها ونتمسك بعلو قدر الحبيب ومنزلته التي يجب أن يعتقدها كل مسلم بأنها لا تطال ولا تدرك لبشر!! فهو فوق كل الخلق منزلة وعلماً وقدراً عند الله وعند كل مؤمن وما أصحابه إلا حسنة من حسناته . ناهيك عن أن يكون أحدهم مثله أو أفضل منه في موقف من المواقف أو أمر من أمور الدين!! وإنه لأمر يتأذّى منه مَن يُنسب إليه ذلك خاصةً إن كان يعرف قدر رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ومكانته عند ربه أو كان حبه له أكثر من نفسه!!

والناقد في كل حال يكون في مكان الأستاذ والمرجعيّة لا التلميذ المتلقي . فكل منتقد للنبي صلى الله وبارك عليه وآله قد وضع نفسه موضع الأستاذ في الدين لينتقد النبي صلى الله

وبارك عليه وآله ويكون قد وضع النبي في مكان النقد وفي موقف أقل منه ويمكنه أن يتكلم فيه ناقداً!! ومن يضع نفسه في هذه المكانة فقد بلغ من الكبر بأن وضع لنفسه مكانة فوق النبي صلى الله وبارك عليه وآله ويكون قد خرج بذلك عن الإسلام!!

(١١)
اتهامه بالطواف على نسائه

جاء في سنن ابن داوود : « . . . عن أنس أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم طاف ذات يوم على نسائه في غسل واحد** » .

وهذا يعني أنه لا يغتسل بعد أن يقضي حاجته من إحداهن ، فيذهب إلى الأخرى دون غسل ، وهو القائل « . . . **والنظافة تدعو إلى الإيمان** . . . »[1] ويظل ليله كله كما يقولون طوافاً بين نسائه ليس له من القيام لربه وقت ، بينما يقول له الحق سبحانه ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2] وتصف ألسنتهم الكذب إذ جعلوا وقت قيامه لربه طوافاً على نسائه ، ليكون فعله مُخالفاً لأمر الله حيث أمَرَه بقيام الليل إلا قليلاً ، فجعل ليله - كما يقولون - طوافاً على نسائه ، وبئس ما قالوا فالله يشهد له بقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي .

(٢) سورة المزمل : الآية : ٢ .

وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾[1] . فَمَنْ أَصْدَق قولاً؟ والسؤال القائم هو ماذا يخدم هذا الحديث في الدعوة إلى الله وصورة الإسلام؟ والإجابة هي أنه اتهام للنبي بغير حق ومادةٌ للمُستهزئين بالنبي الكريم!! ثم يدعمونه بحديث آخر :

جاء في مسند أحمد : «**فكان بلال مولى أبي بكر يؤذن بذلك ويدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة قال فجاءه فدعاه ذات غداة إلى الفجر فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم قال فصرخ بلال بأعلى صوته «الصلاة خير من النوم» قال سعيد بن المسيب فأدخلت هذه الكلمة في التأذين إلى صلاة الفجر**» .

يبدو واضحاً أن هذا يخالف قول الله تعالى ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ**﴾[2] . وهو القائل صلى الله وبارك عليه وآله «**يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**»[3] . ثم إن بلالاً لو وجد النبي صلى الله وبارك عليه وآله نائماً كان يلزمه النوم إتباعاً للنبي إذ لا علم له بمراد الله من خلقه فيما شرعه وأرسل به رسوله إلى الناس . فقد يكون طرأ أمر لصلاة الفجر لا يعلمه بلال . فالأولى الأدب مع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله لا إدعاء معرفة التشريع

(١) سورة المزمل : الآية : ٢٠ .

(٢) سورة المزمل : الآية : ٢٠ .

(٣) صحيح البخاري .

في حضرته ، وإظهار الحرص أكثر منه على أدائه!! كما أن رفع الصوت عند النبي صلى الله وبارك عليه وآله يحبط العمل فكيف بصراخ من وراء الحجرات؟ ثم هل كان النبي صلى الله وبارك عليه وآله يخالف أمر ربه ﴿**قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[1] فينام بدل القيام؟ ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ...**﴾[2] .

لا فائدة في هذا الحديث في تبيين أداء الرسالة المحمدية إلا تقليل شأن من جاء بها . فهؤلاء يشيرون به إلى حرص بلال على الصلاة أكثر من الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ، ليثبتوا فَضل الصحابة في بعض الأحيان على النبي صلى الله وبارك عليه وآله كما ذكروا في أسرى بدر . فقد ذكروا في حديث آخر : «**أصبحَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وسلَّمَ فدعا بلالًا فقالَ يا بلالُ بِمَ سبقتني إلى الجنَّة ما دخلتُ قطُّ إلاَّ سمعتُ خَشْخَشَتَكَ أمامي إنِّي دخلتُ البارحةَ الجنَّةَ فسمعتُ خَشْخَشَتَكَ فأتيتُ على قصرٍ من ذهبٍ مرتفعٍ مشرفٍ فقلتُ لمن هذا القصرُ قالوا لرجلٍ من العربِ قلتُ أنا عربيٌّ لمن هذا القصرُ قالوا لرجلٍ منَ المسلمينَ من أمَّة محمَّد قلتُ فأنا محمَّدٌ لمن هذا القصرُ قالوا لعمرَ بنِ الخطَّابِ فقالَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وسلَّمَ لولا غَيرتُكَ يا**

(١) سورة المزمل ، الآية : ٢ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١٠٤ .

عمرُ لدخلتُ القصرَ فقالَ يا رسولَ اللّه ما كنتُ لأغارَ عليك قالَ وقالَ لبلال بمَ سبقتني إلى الجنّة قالَ ما أحدثتُ إلاَّ توضّأتُ وصلّيتُ ركعتين فقالَ رسولُ اللّه صلّى اللّهُ عليه وعلى آله وسلّمَ بهذا»[1] أي بكثرة الصلاة . وقد ذكروا أيضاً أنه صلى الله وبارك عليه وآله كان يدركه الفجر وهو جنب ويصبح صائماً[2] ، لينسبوا إليه مخالفة أمر الله ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[3] فيسبقه بلال بكثرة اجتهاده وصلاته إلى الجنة!!!
فالمراجع إذن تقول : بلال أحرص على الصلاة من النبي -بلال يسبق النبي إلى الجنة- فيسأله ليتعلم منه سر السبق إلى الجنة! النبي لا يعلم كيف سبقه بلال إلى الجنة! النبي يخالف أمر الله فلا يقوم الليل بل يقضيه طوافاً على نسائه بغسل واحد! ويدركه الفجر وهو جُنُب حتى يأتيه بلال ليصرخ فيه للقيام لصلاة الفجر! هكذا يرى المسلمون خاتم الأنبياء والمرسلين وأشرف الخلق أجمعين الذي أرسله من أحبه إلى كافة الناس ﴿... لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ...﴾[4]!!

ويظهر في حديث البخاري بعد أن يثبت أنّ بلالاً سبق

(١) مسند أحمد .
(٢) صحيح البخاري .
(٣) سورة المزمل : الآية : ٢ .
(٤) سورة الطلاق ، الآية : ١١ .

النبي إلى الجنة كذلك يظهر النبي واقفاً بجانب قصر من ذهب قد أعجبه فصار يجادل من أجل أن يكون ذلك القصر له واخيراً أخبروه أنّ القصر ليس له بل لرجل من المسلمين من أمة محمد فيقول أنا محمد فيقال له لعمر بن الخطاب وهنا يحجم الرسول عن رغبته في دخول القصر خشية من غيرة عمر!!! ولا حول ولا قوة إلا بالله!! إنّ الذي خلق الله من أجله الجنان وأعطاه حتى أرضاه يدخل في الجنة كالغريب يسأل عمّا فيها وهناك من سبقه إليها وهو يتطلع إلى قصر من قصورها ليدخله!؟ أهكذا صورة النبي وقدر رسول الله عند المسلمين؟ ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...﴾[1]

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٤ .

(١٢)
الاتهام بتخريب موسم النخيل

جاء في صحيح مسلم : « . . . عن عائشة وعن ثابت عن أنس ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون فقال لو لم تفعلوا لصلح قال فخرج شيصاً فمر بهم فقال ما لنخلكم قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بأمر دنياكم» .

معلومٌ أنه لا يوجد صبي من صبيان المدينة لا يعلم بتلقيح النخل ، فكيف يجهل ذلك مَن بُعِث مُعلّماً وهو أرجح الناس عقلاً قبل الرسالة . وهو الذي يعلم مّ خلقت النخلة فقد جاء عنه صلى الله وبارك عليه وآله أنه قال «أنها خلقت من بقية طينة آدم»[1] وهل كان لا يحسن تدبير الدنيا؟ فالإخلال بتدبير الدنيا هو إخلال وتضييع للعمل الذي يمكن أن يستفيد منه الإنسان لآخرته قال تعالى ﴿ . . . وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا . . . ﴾[2] ولا يوجد معنى لهذا الحديث إلا أن يكون قد قُصِدَ به نفي العِلم عن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ، أو إثبات نقصٍ له في العِلم الدنيوي ليكون لغيره - فيما يقولون

---

(١) القرطبي .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٧٧ .

– علمٌ أفضل مما عنده : وهنا انقسموا إلى فريقين : بعضهم يقول إن النقص في العلم عند رسول الله هو في غير الوحي ، كالذين قالوا عن نزوله بالجيش خطأً في معركة بدر ، وتصحيح أحد أصحابه له بالمكان الأليَق لُمنازلة العدو . ولكن يجيء أمر تحديده لأماكن مصارع القوم في تلك المعركة نافياً لاتهامهم له في معرفة المكان!!

ويقول آخرون إنّ النقص في علم رسول الله يشمل حتى ما يُوحَى به إليه صلى الله وبارك عليه وآله ، وذلك فيما ينسبونه له في حديث أسرى بدر حيث يقولون أنه تصرّفَ دون موافقته للوحي حتى صححه عمر ، وجاء الوحي موافقاً لعمر!!!

فالاتهام في هذا الحديث وفي صلاته على ابن سلول هو أنّ النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليس أرجح الناس عقلاً وأنّه تدخل في شؤون أهل المدينة الزراعية دون علم منه وخرّب عليهم محصولهم!!

هكذا يُتّهم النبي بالتدخُّل في أمر لا يعلمه فيدلي بفتوى مدمرة لاقتصاد البلاد!! فلو افترضنا كما قالوا إنّه لم يكن له علم بالزراعة أليس هو أرجح الناس عقلاً؟ أليس أقل أحد من صبيان المدينة يعلم تأبير النخل؟ ثم فوق كل ذلك أليس من العقل عدم التدخل في أمر لا يعلمه الإنسان؟ وكيف لا يوجد ذلك العقل عند رسول الله؟

(١٣)
الاتهام بأنه سُحِر

جاء في صحيح البخاري : « . . . عن عائشة رضي الله عنها قالت ثم سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال في أي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله أفلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرا فأمر بها فدفنت» .

لا يقول بسحر رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله إلا ظالم لأن الله سبحانه يقول ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ

رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾[١] ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾[٢] ويقول سبحانه ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[٣] ، وإذا كان السحر يبطله القرآن فإن النبي صلى الله وبارك عليه وآله كان قرآناً يمشي فقد كان «خُلُقه القرآن»[٤] . ولو قالوا إن المسحور كانت عائشة التي تُسبَ إليها الحديث أو أبابكر أو عمر لكان أولى فإن النبي صلى الله وبارك عليه وآله هو الذي يتولى شفاء المسحورين . انظروا إلى شخص النبي في نظر هؤلاء : رجل لا يدري ماذا فعل ولا ما يفعل!! وكم من الزمن كان على هذه الحالة وكيف اعتماد ما أُرسِل به في تلك المدة وكيف تُعرف؟ هل هذه حالة نبي أرسله الله لهداية الخلق؟ أيلعَب بعقله ساحر من بني زُرَيق ويتصرّف في سلوكه؟ لقد أبطل نبي الله موسى عليه السلام سحر من شهد الله لهم بأنهم جاءوا بسحر عظيم بعصاه ولم يتل عليهم آية من كتاب الله التوراة فهل الذات الشريفة المحمدية أقل فعلاً في إبطال السحر من عصا موسى؟ والنبي محمد صلى الله وبارك عليه وآله هو الذي جاء على لسانه قول الله تعالى : ﴿ولا يفلح

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٧ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٤٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

(٤) مسند أحمد .

الساحر حيث أتى ﴾ فكيف يتصرف ساحر في أعظم رسل الله؟ أهكذا عندهم مفهوم الأسوة الحسنة؟ أيأمُرُ اللهُ سبحانه الناس بالأخذ عنه وهو لا يدري ما يفعل ، وكيف يتناغم ذلك مع قول الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[١]؟

---

(١) سورة الحشر ، الآية : ٧ ..

(١٤)

الاتهام بمحاولته الانتحار

جاء في الحديث «عن عائشة ... لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك» .

هل تكون هذه حال الرسول صلى الله وبارك عليه وآله الذي كان يُسلّم عليه حجر بمكة قبل البعثة مقراً بنبوته وهو القائل «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»[1]؟ . أيريدون أن يقولوا لنا إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله وبعد نزول الوحي عليه أصيب بإكتئاب حَمَلَهُ لمحاولة الانتحار وهو طِب القلوب ودواؤها ونور الأبصار وضياؤها وعافية الأبدان وشفاؤها؟! هكذا ينظر العلماء إلى شخصِ النبي صلى الله وبارك عليه وآله لأن

---

(١) المستدرك على الصحيحين .

ما جاء في البخاري لا يُرَدُّ عندهم كأنه هو المعصوم ، لا النبي صلى الله وبارك عليه وآله . فالصورة للنبي عند مُعتَقِدي عصمة البخاري ومُسلم من العلماء هي التي يراها كل عدو مُستهزئ من مصادرهم هذه ؛ فيرسم صورةً لرجُلٍ مُكتئبٍ على رأس جبل شاهق يريد أن يتردّى منه ويقول للناس هذا نبي المسلمين وقد جاءهم بما هو (شِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ)[1]؟!؟

بقيت مسألة مهمة في هذا السياق وهي أنّ راوي الحديث السيدة عائشة رضي الله عنها وأنّ محاولة الانتحار المزعومة جرت في مكة ، فكم كان عمرها حينما توفي ورقة ، فإذا كان الأمر كما يقولون في مصادرهم فقد كان عمرها ست سنوات أو تسعة وهو في المدينة ، فمتى سمعت هذا الحديث ، أم هل كشف النبي العظيم لها سرا فيما بعد بأنه حاول الانتحار . . . نعوذ بالله مما يفترون ، ثم ما ضرورة الإشارة إلى ورقة في هذا الحديث؟ هل يريدون أن يقولوا أن النبي العظيم كان يعتمد على ما ينقل من ورقة وان الوحي كان مسألة خادعة . .!!

لا أدري كيف قبل ويقبل ما يسمى «علماء الشريعة» اليوم مثل هذه الترهات والاتهامات المبطنة والظاهرة ثم يرددوها على طلبتهم وفي منابرهم دون أن يرف لهم جفن أو تختلج عضلة في ضمائرهم؟

(١) سورة يونس ، الآية : ٥٧ .

(١٥)
الاتهام بأنه كان ينسى القرآن

جاء في صحيح البخاري : « . . . عن عائشة قالت ثم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا» .

الله سبحانه وتعالى يقول ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾[1] ، أي أنه سيقرؤه قراءة لا ينساها ، وإذا أراد الله أن ينسي نبيه آية فلا يمكن أن يحفظها غيره ليذكّره بها! والحديث لا يذكر ذلك الشخص الذي كان يقرأ ولا يذكر الآيات ولا يذكر السورة أو السور التي نزلت فيها الآيات ؛ فهل تسيّها الراوي الذي ينسب النسيان إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله؟ ونسي الرجل الذي كان يقرأ تلك الآيات؟ إن رَجلاً يُذكّر النبي بآيات نسيها النبي صلى الله وبارك عليه وآله جدير بأن يُعَرَّف ولا ينبغي أن يكون نكرة مُبهماً ؛ فالأمر جدّ خطير لأنه يتعلّق بالرسالة وأدائها وكيفيّته!!

كيف يقبل مسلم أنّ رسول الله ينسى ما أُرسِل به؟ إنّه

(١) سورة الأعلى ، الآية : ٦ .

شك في حفظ الله للقرآن بينما هو اتهام للنبي بضياع رسالته التي جاء بها فالله سبحانه يقول ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] ويقول لحبيبه ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[2] ويجيئنا البخاري عن عائشة قائلاً إنّ النبي نسي قرآنه فذكّره به من لا يعلمه!!! إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

(١) سورة الحجر، الآية : ٩ .

(٢) سورة القيامة، الآيات : ١٦-١٧ .

(١٦)
الاتهام بالنهم في الطعام

جاء في سنن الدارمي : « . . . عن أبي عبيد ثم أنه طبخ للنبي صلى الله عليه وسلم قدرا فقال له ناولني الذراع وكان يعجبه الذراع فناوله الذراع ثم قال ناولني الذراع فناوله ذراعا ثم قال ناولني الذراع فقلت يا نبي الله وكم للشاة من ذراع فقال والذي نفسي بيده أن لو سكت لأعطيت أذرعا ما دعوت به» .

والسؤال هل كان رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله يأكل أذرعاً إلى ما لا نهاية؟ وهو الذي كان يعصب بطنه بالحجر وهو القائل «حسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه»؟ ففي سنن الترمذي : «ما ملأ آدميٌ وعاءً شراً من بطن ، بحسبِ ابنِ آدمَ أكلات يُقمنَ صُلبَهُ ، فإن كان لا محالةَ : فثلُث لطعامه ، وثُلُثٌ لشرابه وثُلُثٌ لنفَسه» .

فصورَتُه صلى الله وبارك عليه وآله عندهم صورةُ رجل يجلس عند القدر ويأكل منها وهي في النار ولا ينتظر أن يؤتى بالطعام إليه ولا يشبع من طلبِ المزيد! فهل هذه صورةُ أفضل خلق الله خَلقاً وخُلُقاً؟ يجلس إلى قِدر اللحم وهو في النار ولا ينتظر أن يُحضَرَ إليه اللحم بعد إنضاجه ، ويظل يأكل الذراع تلو

الذراع! أهكذا منظر رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله!!

إنه مَنظرٌ يرفضون أن ينسبوه إلى إعرابي جائع اليوم ؛ ولو رسَمتَ صورة أحد كبار المسؤولين أو الرؤساء العرب يجلس إلى قدر اللحم ويأمر الطباخ بإخراج اللحم من القِدر ويناوله الذراع لكان ذلك سبباً في قطع العلاقات بين الدول إن لم يكن سبباً للحرب!! بينما يمر الأمر لديهم بسهولة لأنه يتعلق بالحبيب صلى الله وبارك عليه وآله . . .!

(١٧)
الاتهام بذهابه إلى كاهن

جاء في صحيح البخاري : « . . . عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت ثم أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلّ

وتكسب المعـدوم وتقـري الضـيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا بن عم اسمع من بن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي» .

فالنبي صلى الله وبارك عليه وآله كان يُسلّم عليه حجرٌ بمكة مُقراً بنبوته قبل البعثة ، وهو الذي يعلم أنه كان نبياً وآدم منجدل في طينته ولا غرابة في ذلك فإن عيسى عليه السلام كان يعلم أنه نبي وهو رضيع في حِجْر أمه ﴿ ... قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[1] . فكيف يحتاج النبي صلى الله وبارك عليه وآله إلى الذهاب إلى كاهن نصراني ليفتيه في أمره

(١) سورة مريم ، الآية : ٢٩-٣٠ .

بعدما جاءه جبريل؟ ثم ينسبون إليه حديث تكفير من ذهب إلى كاهن ، فجاء في مسند أحمد : « ... عن أبي هريرة والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم» .

هل يراد من ذلك أن تعلم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله كان ينهي عن فعل ويأتي مثله؟ فينهى عن الذهاب إلى الكهان وهو أول أمر يبدأ به رسالته؟!! فصورتُه عندهم صورة رجل مريض نفسياً يبحث عن الشفاء عند الكهان من أهل الكتاب! فكيف بالمُصَدِّق بهذا الحديث الدفاع عن صاحبه . ويستمر الحديث ... «فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة لقد خشيت على نفسي ...» .

هكذا تُظهر المراجع صورة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله الذي كان يعلم أنه نبي وآدم بين الروح والجسد!! أيخافُ من رؤية جبريل عليه السلام؟ فهل يا ترى جاءه جبريل بأقبح صورة مُخيفة؟ لقد كان جبريل إذا تجسّد للنبي صلى الله وبارك عليه وآله يتجسّد في أجمل صورة بشرية ، فقد ذُكر أنه كان يتجسّد في صورة دحية الكلبي . ولو افترضنا أنه لم يأته جبريل في صورة جميلة ، فهل كان رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله تنقصه الشجاعة في لقائه؟ هل كان هناك من هو أشجع

منه في لقاء العدو؟ وحين يفزع الناس ليلاً من مراقدهم فيجدونه عائداً راكباً بغلته يطمئنهم قائلاً «لن تراعوا»؟ لكن المراجع تُظهر النبي صلى الله وبارك عليه وآله في صورة الخائف الذي يتدثّر بثيابه من شدّة الخوف . والله سبحانه وتعالى ينفي الخوف عن رسله قال تعالى ﴿إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[1]!! فليس في هذا الحديث إلا محاولة إظهار الضعف والخوف في الذات الشريفة! ونسبة الشك إليه في أنّه مرسل من الله إلى الناس كافة وأنّه يحتاج إلى شهادة غيره لمعرفة جبريل وأنّ الذي جاءه هذا هو الناموس الذي نزل على موسى!! بينما موسى عليه السلام كلّمه الله تكليماً ولم يقل أنّه أنزل عليه ناموساً!!

(١) سورة النمل ، الآية : ١٠ .

(١٨)

الاتهام بالجزع عند الموت

جاء في صحيح البخاري : « . . . أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ثم لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه استأذن أزواجه في أن يمرّض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس وآخر فأخبرت أبن عباس قال هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة قلت لا قال هو علي قالت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعدما دخل بيتها واشتد به وجعه هريقوا عليّ من سبع قرب لم تحل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس قالت فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه حتى جعل يشير إلينا أن قد فعلتن قالت وخرج إلى الناس فصلى لهم وخطبهم» . وينسبون إليه قول «واكرباه»[1]! وهي تفيد الجزع عند الموت .

(١) الكامل لابن الأثير ٢٨١/٢ ، السيرة الحلبية ٤٦٦/٣ فجعل يأخذ الماء بيده الشريفة ويجعله على وجهه ويقول : «واكرباه» ، فتقول فاطمة – رضي الله عنها– : «واكربي لكربك يا أبت» ، فيقول : «لا كرب على أبيك بعد اليوم» .

فهل كان النبي صلى الله وبارك عليه وآله يخشى من سوء المصير؟ أولم يأذن لَملك الموت بالدخول؟ ألم يكن يُحِب لقاء الله؟ أمِنَ المدح أن يُذكر المرء بأنه جزع عند الموت؟ وهل هناك من هو أشجع من رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله؟؟! . ثم إن ماء سبع قِرَب لم تحل أوكيتهن كفيل بملء الغرفة كلها!

(١٩)
الاتهام برمي نبي الله إبراهيم بالكذب

جاء في البخاري فيما نسب إلى من مدحه خالقه بحسن الخُلُق أنه قال «**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات**» .

معلوم أنَّ الواجب في حق الرسل الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة ، ويستحيل في حقهم الكذب والخيانة والكتمان والبلادة وتعالى الله سبحانه أن يُرسِل لهداية الخلق أحداً يكذب . فقد سئل أشرف الخلق وأكرمهم على الله محمد صلى الله وبارك عليه وآله : «قيل لرسول الله صلّى اللهُ عليه وسلمَ : أيكونُ المؤمنُ جبانًا؟ **فقال : نعم ، فقيل له : أيكونُ المؤمنُ بخيلًا؟ فقال : نعم ، فقيل له : أيكونُ المؤمنُ كذابًا؟ فقال : لا**»[1] فلا أخلاق ولا خلاق لمن يكذب . فكيف يُراد بهذا الحديث أن يشهد رسول الله على كذب رسول من أولي العزم هو إبراهيم عليه السلام . وصيغة الحديث تدل على أنَّ الثلاث كذبات أمر يسير يمكن أن يتغاضى عنه الناس « . . . إلا ثلاث كذبات» فقط!! والله سبحانه وتعالى يصف إبراهيم عليه السلام في كتابه الحكيم بقوله ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ

(١) الاستذكار لابن عبد البر .

﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾[1] .

إنّ ما يرمي إليه هذا الحديث هو :

١ . أنّ الأنبياء تكذب وأنّ ثلاث كذبات من نبي لا بأس بها .

٢ . أنّ من شهد بذلك هو محمد صلى الله وبارك عليه وآله ووصف أحد أولي العزم وهو أبوالأنبياء بأنه يكذب .

٣ . بما أنّ إبراهيم عليه السلام كما جاء في البخاري يكذب فهو لا إيمان له لأنّ محمداً رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أكد ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ . . . ﴾[2] .

٤ . أنّ الرسول صلى الله وبارك عليه وآله كما يقول البخاري يخالف القرآن فالله سبحانه يقول في إبراهيم ﴿ . . . إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ ومحمد صلى الله وبارك عليه وآله يقول كذب ثلاث كذبات .

وإذا أضيف حديث «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»[3] إلى هذا الحديث فقد يكون الناتج «نحن أحق بالكذب من إبراهيم» وإذا كانت الأنبياء تكذب فما هو المطلوب من المُرسَل إليهم؟ وقد تكون هذه الأحاديث هي السبب في تفشي

(١) سورة مريم ، الآية : ٤١ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٠٥ .

(٣) البخاري .

الكذب في هذه الأمة بينما نجد في الأمم الأخرى من أهل الكتاب إذا وصف واحد منهم بالكذب فليس هناك ذنب فوق ذلك يؤاخذ عليه .

الخاتمة

ليس هذا كل ما هو موجود في الكتب الإسلامية المعتمدة كمراجع للدين الذي جاء به أشرف وأعظم خلق الله ، وأفضل المرسلين وخاتم النبيين ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب من التوراة والإنجيل ، بعث ليتمم صالح الأخلاق التي جاءت به الرسل من قبل ، فهو المصدّق على رسالاتهم والمبيِّن ما شابها من اختلاف أتباعهم ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى . . .﴾[1] فما ذكرناه ليس غير جزء يسير مما فاضت وتنكبت به الطريق ما سُمِّيت بالمصادر والمراجع الإسلامية ، وقالوا ظلماً وبهتاناً إنها أصح الكتب بعد كتاب الله ، وصدّق ذلك من ضعف عقله ، وغلف قلبه ، فقبل منها ما ينبغي أن لا يقبله في حق من أرسله الله وعظّمه وأكرمه وصلى عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وألزمهم بطاعته ، وتوقيره وعدم مخالفته ، فتلك طاعة الله وأمره لعباده ، ﴿. . . وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[2] يوم لا يكون لأحد ملجأ إلا إلى رحمة الله التي هي رسول الله

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٤ .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ١٢ .

صلى الله وبارك عليه وآله ، فمن جاء يوم القيامة ناقداً لرسول الله فقد جاء يائساً من رحمة الله .

إنّ الذي رهن عقله لغيره ، وصدّق كلما جاء في هذه المصادر ، وحكم على الله جهلاً وعدواً بأنه أوقف فيضه وفضله على السلف ، ولم يُبقِ لمن بعدهم شيئاً هو الذي يمشي مكباً على وجهه فهو لا يستحي – بعد ذلك – أن لا يرى غباراً على ما ينسب لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله مما لا يليق أن يوصف به مسلم عادي . فظنه في الله بوقف فيضه على السلف لم يبق له من الحياء شيئاً ، والحديث يقول «إنّ مما أدرك الناس من كلام **النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[1] . . ولذلك لا يرى جرماً مما ينسب إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله من سوء القول ، ولا يستحي بل يظن أنّ ذلك من العلم ، فقد وجده في المراجع الإسلامية ، وصار يتشدّق به على المنابر ، فصدّق ذلك جهلاء القوم وسفهاء الأحلام ومنهم من ادّعى العلم من كثرة سماعه لا عن معلم ولا عن دراسة ولا اطلاع ثم يتكلم عن مدينة العلم وسيد ولد آدم ناقداً . . . .!!

فهذه الاتهامات التسعة عشر ليست حصراً لما في المصادر بل تبيين وايضاح لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكوراً . . وطهوراً لقلبه ، وأرجو أن تكون تنبيهاً للغافلين وتنويرا للباحثين وتبصيرا

(1) البخاري .

للمحبين ونجاة للمسلمين من سقر ، التي لا تبقي ولا تذر ، إذ عليها تسعة عشر ، وكذلك هي عدد حروف البسملة المنجية من الأذى حين تذكر في بداية الأعمال والتي لا يبدأ عمل بدونها إلا وهو أجزم أو أقطع أو أبتر ، وكذلك عدد حروف **(حسبنا الله ونعم الوكيل)** التي من قالها انقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء . وعلى الله قصد السبيل وبه المستعان وعليه التكلان .

والحمد لله العظيم أولاً وآخراً ، والشكر لرسول الله الرؤوف الرحيم بدءاً وختماً . اللهم صل وبارك على محمد وآل محمد .

الفهرس

THE ACCUSATIONS OF MUSLIMS AGAINST THEIR PROPHET



شِفَاءُ الذِمَم مِن اتِّهَامَاتِ المُسلِمِين لِلنَّبِيِّ الأعظَم

قامت الدنيا ولم تقعد في الدول العربيّة والإسلاميّة، خلال السنوات الماضية، احتجاجاً على الرسوم الهزليّة في الدنمارك، والفيلم المسيء للنبيّ الأعظم صلّى الله وبارك عليه وآله، واقتصرت ردود فعل ما يسمّى «علماء المسلمين» على التنديد والشجب والتهديد بالقوّة أسوة بالهبّات الشعبيّة العفويّة، والدفاع بشكل عامّ عن الإسلام والمسلمين لا عن ذات النبيّ الشريفة، ولم يتنبه الكثيرون إلى أنّ معظم موضوعات تلك الإساءات يستند إلى مرجعيّات واضحة في الكتب التي وصلت إلينا من السلف، وكان الأولى أن تتمّ مراجعتها وتفنيد الإساءات التي ألحقتها بالنبيّ الكريم صاحب الخلق العظيم. لكنّ الجميع سكت عمّا حفل به الكثير من كتب الحديث والتفاسير ممّا نسب إلى النبيّ زوراً وبهتاناً، أو جهلاً وسوء تقدير.

والكتاب، الذي بين يدينا للمفكّر السودانيّ والمجدّد الشيخ النيّل عبد القادر أبو قرون، يتصدّى لنماذج من هذه الاتهامات أو الإساءات عله يكون مقدّمة جريئةلمراجعة شاملة لما وصلنا فيما يخصّ سيّد الخلق وإمام الأنبياء، فلا مجاملة أو مهادنة مع مثل هذه الاتهامات أو سوء التفسير وركاكة التأويل حتّى لو وردت في الصحاح أو نسبت إلى كبار الصحابة.

أمّا صاحب هذا الكتاب، فقد سبق له أن أصدر العديد من المؤلّفات الفكريّة والمراجعات الجريئة التي شهدت الكثير من النقاش حولها، ومنها: كليّة الإنسان؛ الإيمان بمحمّد؛ الإسلام والدولة؛ نبيّ من بلاد السودان؛ مراجعات في الفكر الإسلاميّ، وغيرها.

وقد تربّى النيّل أبو قرون في بيت علم وتصوّف في السودان، ودرس القانون في جامعة الخرطوم، وتولّى وزارة الشؤون القانونيّة في زمن النميري، وساهم في صياغة القوانين الإسلاميّة، ولأجل أفكاره الجريئة وطروحاته المغايرة للسائد، فقد تعرّض وما زال يتعرّض إلى الكثير من المحن والمضايقات، ومنعت كتبه في بلاد عديدة.

•

ISBN 978-614-419-165-1



